مباحث قرآنية تأسيسية

مقاربة في فهم آيات القرآن الكريم

تأليف
الدكتور ليث عبد الحسين العتابي

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦ م

العنوان: مَبَاحِثُ قُرْآنِيَّةٌ تَأْسِيْسِيَّةٌ
مُقَارَبَةٌ فِيْ فَهْمِ آيَاتِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية – قسم النشر
الإشراف العام: أ.د. شوقي مصطفى الموسوي
المتابعة والتنفيذ : م.م. ضياء محمد حسن
الإدارة الفنية : م.م. علي رزاق خضير
التصميم و الاخراج الطباعي: احمد هاشم الحلو
عدد النسخ: ٢٥٠
١٤٤٧هـ – ٢٠٢٦م

العتابي، ليث عبد الحسين، 1349 هجري- مؤلف.
مباحث قرانية تأسيسية مقاربة في فهم آيات القرآن الكريم / تأليف الدكتور ليث عبد الحسين العتابي.-
كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، 1447 هـ. = 2026.
111 صفحة ؛ 24 سم. (سلسلة نشر ؛ 13)
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية : صفحة 107-109.
ISBN : 9789922262246
1. القرآن--لغة، اسلوب. 2. القرآن--دلالة. أ. العنوان.

LCC: PJ6696.Z5 R452 2026
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر

٢٢٠ / ٧
ع ٢٢٢ العتابي، ليث عبد الحسين .
مباحث قرآنية تأسيسية مقاربة في فهم آيات
القرآن الكريم / ليث عبد الحسين العتابي .-ط١ .-كربلاء:
جمعية العميد العلمية والفكرية ، ٢٠٢٦.
١١٢ ص . ؛ ٢٤ سم .
١ . القرآن الكريم . دراسات . أ. العنوان .
٢٠٢٦ /١٢٥٦
المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٢٥٦) لسنة ٢٠٢٦

ISBN : ٩٧٨٩٩٢٢٢٦٢٢٤٦

دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا
آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ

صدق الله العلي العظيم

ص : ٢٩

كلمة الجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين، الذي أنزل كتابه تبيانًا لكلِّ شيء، وجعله نظامًا هاديًا للعقل والضمير، ومصدرًا لتقويم الفكر وبناء الوعي، والصلاةُ والسَّلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين..

أمَّا بعد..

فإنَّ الاشتغال بالقرآن الكريم لا يستقيم من دون وعي تأسيسي بالأدوات والعناصر المنهجيَّة التي تضبط عمليَّة الفهم، وتحدِّد مسارات التفسير والتأويل، وتؤسِّس للقراءة الرصينة البعيدة عن الارتجال والانطباعيَّة. ذلك أنَّ النَّص القرآني، بما يحمله من عمقٍ دلاليٍّ، وثراءٍ لغويٍّ، وتراكمٍ تفسيري، يقتضي بناء قاعدة علميَّة رصينة تسبق الخوض في تفاصيله، وتمهد الطريق لاستنطاق آياته في ضوء أصول ومعايير منضبطة.

ومن هنا يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة نشر الصادرة عن قسم النشر في جمعيَّة العميد العلميَّة والفكريَّة، الموسوم بـ: (مباحث قرآنيَّة تأسيسيَّة مقاربة في فهم آيات القرآن الكريم)، ليقدِّم معالجة منهجيَّة لجملةٍ من القضايا التي تمثِّل الأساس النظري والعملي لفهم القرآن الكريم، فالكتاب لا ينشغل بتفسيرٍ ترتيبي مباشر، بقدر ما يتَّجه إلى مساءلة البنية التحتيَّة للفهم القرآني .

وفي هذا السياق، يقف الكاتب عند مقدِّمات التفسير بوصفها الإطار الحاكم للنتائج، فيخضعها للنظر والتحليل، انطلاقًا من مبدأ أنَّ سلامة الأصول رهينة بدقة المقدِّمات، وكذلك يثير إشكاليَّة (حجيَّة قول أهل الاختصاص)، فيتناول (حجيَّة قول اللغوي والبلاغي والمفسِّر)، ضمن رؤيةٍ نقديَّةٍ تضبط حدود الإفادة من الخبرة التخصُّصيَّة.

ويفرد الكتاب حيّزًا مركزيًّا لمبحث اللغة، انطلاقًا من كون القرآن الكريم نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين، فبحث في الفروق المفهوميَّة بين اللسان واللغة والكلام، مستكشفًا أبعادها المعرفيَّة، وأثرها في تشكّل الدلالة. ويتناول أيضًا أهميَّة القواعد اللغويَّة وأساسيَّات العربيَّة الفصحى، ودور القرآن الكريم في تأسيس علوم العربيَّة وترسيخها، مع عرض لنظريَّات متَّصلة بلغة القرآن وخصائصها التعبيريَّة.

إنَّ القيمة المنهجيَّة لهذا العمل تكمن في كونه يعيد التأكيد على أنَّ فهم القرآن ليس فعلاً انطباعيًّا؛ بل ممارسة منهجيَّة، تستند إلى أصول لغويَّة ومعرفيَّة محكمة، فهو يسعى إلى بناء أرضيَّة علميَّة تمكّن القارئ، ولا سيَّما المهتمِّين بالشأن القرآني، من الانطلاق في قراءة واعية للنصِّ القرآني، قائمة على الجمع بين التحقيق، والتحليل والتأويل .

وإذ تضع جمعيَّة العميد العلميَّة والفكريَّة هذا الكتاب بين أيدي الباحثين والمهتمِّين، فإنَّها تؤكِّد أنَّ مشروعها في هذه السلسلة يقوم على ترسيخ الدِّراسات القرآنيَّة ذات الطابع التأصيلي والمنهجي، التي تعالج أصول الفهم قبل فروعه . وتجدّد أيضًا دعوتها للباحثين والمبدعين وأصحاب الأقلام المتميِّزة إلى الإسهام في هذا المشروع العلمي، بدراساتٍ رصينةٍ محكمة، تثري الحقل القرآني والفكري؛ ليبقى القرآن الكريم محورًا أساسًا حيًّا في حركة الفكر، ومصدرًا متجددًا لبناء الإنسان والحضارة.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على محمَّدٍ وآله الطَّاهرين.

أ.د. شوقي الموسوي

جمعية العميد العلمية والفكرية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

إن الأمة الإسلامية هي أمة (القرآن الكريم) وهو الكتاب الذي أنزل على النبي محمد ﷺ، وفق منظومة (الإسلام) لهداية البشرية جمعاء.

لذلك فإن الأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون للعودة إلى (القرآن الكريم)، من أجل استئناف مسيرتها للاستخلاف في الأرض، وتقويم ما ظهر من اعوجاج وتحريف في الفهم والسلوك، فالقرآن الكريم هو مصدرها الأول في التشريع والمعرفة والأخلاق، فصار التجديد في الفهم والتفسير والبيان والتدبر من الضروريات، لكن بشرط أن يكون وفق أساسيات علمية صحيحة، تعتني بالثوابت وتحترمها، وتتحرك وفق المتغيرات.

ولا بدّ من أن يكون المراد منضبطاً بالضوابط العلمية، ملتزماً بالأسس المنهجية، ناظراً للثوابت والأساسيات، ومبتعداً عن الأهواء والأحكام المسبقة، وعن التحزبات والتكتلات المذهبية والطائفية، أو العاطفية.

في هذا الكتاب سوف نتطرق إلى جملة من المباحث القرآنية التأسيسية، والتي تشكل أساسيات مهمة وضرورية على طريق فهم القرآن الكريم، ذلك بأنها تتناول مباحث مهمة في التفسير، واللغة، والألفاظ، والمفردة القرآنية، والمصطلحات، والمفاهيم، والتطور الدلالي، وآليات فهم النص، وغريب القرآن الكريم.

إن هذه المباحث القرآنية التأسيسية مهمة جداً لفهم (القرآن الكريم)، ولأجل وضع أسس مهمة لتفسير النص القرآني، وربطه بجذوره ومعانيه

الحقيقية، ومراده، وتطبيقاته الآنية والمستقبلية، وهذه المباحث التأسيسية مفيدة للأستاذ الذي يُدرس القرآن الكريم، وللطالب، ولاسيّما طالب الدراسات العليا، إذ إنها أشبه بالبنى التحتية له من أجل الانطلاق في القراءة والكتابة.

كل ذلك ـ مما تقدم ـ سنحاول بيانه، وبيان الفوائد المترتبة عليه، وما لتلك الأسس من فوائد لفهم النص القرآني، وما يتعلق به، ولتنوير القارئ والباحث بمباحث مفيدة له، تؤسس لأساس قرآني، وأساس معرفي، يضع القارئ والباحث على جادة المعرفة.

والحمد لله رب العالمين

مدخل منهجي

ملاحظات عامة على كتب التفسير

إن أي كتاب من كتب التفسير لا يخلو من وجود ملاحظات عليه، ولن نجد كتاباً كاملاً، وإننا ـ هنا ـ سنذكر ملاحظاتٍ علمية، أي الملاحظات التي لا بدّ من التنبه لها؛ وذلك في سبيل كتابة تفسير يتصف بنوع من التكامل العلمي والمعرفي، من أجل ان يكون مفيداً في الفهم والعمل والتطبيق، ويحقق الإفادة والاستفادة، لذلك فإن من هذه الملاحظات المسجلة على كتب التفسير، هي:

١ـ أن أكثر المفسرين ينطلق بإسهاب وتشعب وتفصيل في بداية تفسيره، حتى تبدأ هذه الأمور تَقلُ، وذلك في أوائل النصف الثاني من تفسيره نزولاً، إلى ان تكاد تنعدم في آخر تفسيره.

٢ـ يركز المفسر على أشياء لا فائدة علمية منها، أو لا فائدة عملية لها، ولربما الاثنان معاً، أي الإسهاب الممل، وهذا مما يكثر في باقي المؤلفات، ومنها كتب التفسير، لذا فعلى المفسر ان يأتي بالمفيد والنافع، ويترك غير النافع.

٣ـ انطلاق المفسر من أحكام مسبقة، وعقائد مسبقة، وأمور يريد وبكل صورة اثباتها، وإن تسببت بـ (ليّ) النص؛ في سبيل اثبات عقيدته، وهذا الأسلوب مخالف للأمانة العلمية، ولأساسيات الإسلام في الإنصاف من النفس، وقول الحق، والتعامل مع النص القرآني الإلهي.

٤ـ الخلط المنهجي عند أغلب المفسرين، والخلط المنهجي سيؤدي إلى الوقوع في الخلل، والخلل المنهجي سيسبب خللاً معرفياً، وهذا ما سيضر بالتفسير والعملية التفسيرية، وسيؤدي إلى نتائج خاطئة، وإلى نهايات غير صحيحة.

٥ـ التداخل ما بين الأدلة عند التفسير، فالدليل الأول هو ـ بالاتفاق ـ الدليل العقلي، وبعده يأتي الدليل النقلي، وتارة يقدم النقلي على العقلي لسبب أو غاية معينة، ومن بعدهما تأتي الأدلة الأخرى، ليكون التحشيد الخطابي آخر الكلام.

إلا اننا نلاحظ بأن جملة من المفسرين يبدؤون بالتحشيد الخطابي ـ أو ما يسمى عند بعضهم بالدليل الخطابي ـ علماً ان التحشيد الخطابي هو أقرب للطرح العرفي ولذوق الناس العام منه إلى الدليل المعتبر أو المعتد به أو العلمي أو الحاكم، بل انه ممنوع في المواضيع المصيرية كـ(الأحكام) و(العقائد) وفي (التفسير) للآيات القرآنية، ومع ما ذكرناه فإنّنا نرى بأن (التحشيد الخطابي) يطغى على كثيرٍ من كتابات المؤلفين، ومنها كتب التفسير!

لذا فإن على الكاتب عموماً، وعلى المفسر بشكلٍ خاص ان يرتب الأدلة، وان يسير وفق نهج ثابت بعيد كل البعد عن (التحشيد الخطابي)، وان يكون علمياً في طرحه للأدلة، وفق منهج علمي رصين ومعتد به.

٦ـ كثرة النقل، فنشاهد المفسر مجرد ناقل، وذلك في موارد كثيرة من تفسيره، فأين هو الإبداع؟

إن التفسير إذا كثر فيه النقل فإنه سيكون مجرد تكرار واجترار لأفكار الآخرين، ولن تكون فيه أي فائدة تُذكر، أو اضافة معرفية أو نوعية تُذكر، فليس من الإبداع أو من العلم طرح آراء الآخرين في كتاب تفسيري ينفق عليه الوقت والجهد والورق والطباعة ليُعيد ذكر المكررات!

نعم، إن المفسر لا بدّ من أن يكون مبدعاً، ولا بدّ ان يحتوي كتاب التفسير ـ الجديد ـ على الإضافات النوعية الواضحة والجلية والمفيدة علمياً وعملياً، وبخلاف ذلك لن يكون إلا تكراراً رتيباً لما سبقه.

إن هذا الكلام ـ المتقدم ـ لا نعني به ان يصبح الإبداع (بدعة)، ولا نعني به ان تصبح الإضافة طرحاً لكل ما هب ودب، بل ان يكون كل ذلك بشرطه وشروطه، ووفق المنهجية العلمية الصحيحة.

٧ـ أن التعريف الحقيقي، أي: (الجامع والمانع) هو التعريف بـ(الحد التام)، وهو صعبٌ، وليس من اليسير تحصيله، لذلك تم اللجوء إلى التعريف (اللفظي) حتى يسهل التعامل مع قضية توضيح أو تعريف مصطلحٍ ما، أو لفظٍ ما، كما وانه لا يتم اللجوء إلى (التوصيف)، أو إلى (التعريف الوصفي)؛ لأنه خاص بموارد معينة، وهو نوع من الوصف للأشياء يستعمله الناس في حياتهم اليومية، وعلى الرغم من ذلك ان نقرأ لمفسرين يُعرفون المصطلحات والألفاظ القرآنية بتعاريف وصفية!؟ ويتركون اللغة والاصطلاح، وهما موجودان، لكنه يتركهما، ويذهب إلى الوصف!!!

ولم يكتفِ بعضهم من الخلط بين التعريف اللغوي والاصطلاحي، بل وجدناه يعرف المصطلحات والألفاظ القرآنية بتعاريف وصفية، وهذا مما يحمد من جانب، ومما يجب التنبه له من جانب آخر.

٨ـ أن المراد بالتفسير هو (الكشف)، وهو مصطلح عام جداً، فلم نشاهد احداً من المفسرين يوضح لنا طبيعة هذا الكشف، وهل هو الكشف مطلقاً؟ أو الكشف عن الأمر المشكل حصراً؟ وهل هذا الأمر المشكل هو الثابت قديماً وحديثاً؟ أو المستجد والمستحدث والغريب عند المعاصرين؟ أو المشكل عند أهل الاختصاص حصراً؟ أو هو مشكل عند عوام الناس؟

تساؤلات كثيرة ومشروعة، لم يبينها لنا المفسرون، ولم يطابقوا ما بين طرحهم للمراد بالكشف نظرياً وعملياً، ولم يوضحوا لنا كيفية ذلك بأمثلة واضحة.

٩ـ في موضوع (معاني الكلمات)، نشاهد بعض المفسرين يوضحها لغةً، وبعضهم يوضحها اصطلاحاً، وبعضهم يوضحها بحسب استعمالها القرآني (الوجوه القرآنية) حصراً، ولم نشاهد أحداً يتبع منهجاً ثابتاً ـ بكل ما للثبات من معنى ـ في توضيح المعاني، أو أن يذكر طريقته في توضيح المعاني، حتى يسهل على القارئ معرفة معنى الكلمة في أصل اللغة، وماذا يراد منها في الاصطلاح، وعلى ماذا تدل وفق السياق القرآني، أو في حال التغيرات الإعرابية أو الصرفية أو البلاغية، فهذه أمورٌ مغفولٌ عنها كثيراً.

١٠ـ الخلط الواضح عند بعض المفسرين بين معنى الكلمة في أصل اللغة، ومعناها المتداول عند الناس أو في المجتمع، فهناك فرقٌ شاسعٌ بين أصل الكلمة، وما يراد منها مجتمعياً، وتحولاتها لتصبح مرادة في شيء معين عند المتداولين بها، ولربما سيكون شيئاً ـ أي عند المتداولين بها ـ مغايراً لأصل الوضع.

إن هذا سيؤثر كثيراً في تفسير القرآن الكريم، وعلى ما يترتب على الآية القرآنية، خصوصاً لو كانت آية من آيات الأحكام.

هذه عشر ملاحظات مهمة على كتب التفسير، وهي أشهر وأبرزها

الملاحظات المسجلة على المفسرين، وعلى كتب التفسير عموماً.

التفسير وحجية أقوال أهل الاختصاص

لا بدّ من بحث حجية أقوال أهل الاختصاص، وما يترتب عليها من آثار علمية وعملية، وهنا لا بدّ من الوقوف على حجية قول اللغوي، وحجية قول البلاغي، وحجية قول المفسر.

١ـ حجية قول اللغوي:

أي ان يكون قول اللغوي حجة، يأخذ بكلامه لأنّه من أهل الاختصاص، لذلك يقال: (ان اللغوي من أهل الخبرة في تعيين الاوضاع وظواهر الألفاظ، وقد تحقق البناء من العقلاء على الرجوع إلى أهل الخبرة في كل فن، بلا اعتبار التعدد والعدالة، كالرجوع إلى المهندس في تقويم الدار مثلاً، وإلى الطبيب في تشخيص المرض وعلاجه، ولم يثبت ردع شرعي عن ذلك)[١].

وعلى الرغم من الاعتراضات التي قال بها السيد الخوئي على قول اللغوي، ـ عموماً ـ يعتبر قول اللغوي حجة.

نعم، (قد ينص اللغويون على المعنى الحقيقي للمفردة، فإن أفاد قولهم العلم بالوضع، فيكون قولهم حجّة، وإذا لم يحصل العلم من قول اللغوي بل أفاد الظن بالمعنى الحقيقي، ففي هذه الحالة يكون قول اللغوي حجّة من باب بناء العقلاء في الرجوع إلى أهل الخبرة، أو من باب حكم العقل في رجوع الجاهل إلى العالم)[٢].

فإن حكم العقلاء أو بناء العقلاء، بل وحتى سيرة العقلاء قد حتمت برجوع الجاهل إلى العالم، وبالخصوص في مثل هكذا موارد.

فمثلاً ان التأويل يكون مقبولاً (متى كان التأويل يحتاج إلى شاهد من اللغة،

فلا يُقبل من الشاهد، إلا ما كان معلوماً بين أهل اللغة، شائعاً بينهم. وأما طريقة الآحاد من الروايات الشاردة، والألفاظ النادرة فإنه لا يقطع بذلك، ولا يجعل شاهداً على كتاب الله)[٣].

بل يتحتم الأمر في كتاب الله تعالى، فلا يقبل القول الشاذ، ولا القول النادر، ولا القول المجهول، ولا القول المبهم، ولا القول غير معروف القائل، وما شاكل ذلك.

٢ـ حجية قول البلاغي:

كذلك الحال بالنسبة للبلاغي، فحجية قوله جاءت من كونه صاحب اختصاص، ومن أهل الاختصاص في مجاله، لذا فإن قوله يؤخذ به، ويعمل وفقه.

يقول أحمد الهاشمي: (فإن العلوم أرفع المطالب، وأنفع المآرب، وعلم البلاغة من بينها أجلها شأناً، وأبينها تبياناً، إذ هو الكفيل بإيضاح حقائق التنزيل، وإفصاح دقائق التأويل. وإظهار دلائل الإعجاز، ورفع معالم الإيجاز)[٤].

فبما ان البلاغة قد بحثت بالدرجة الأولى بلاغة القرآن الكريم، لذلك فإن قول البلاغي حجة في موارد المباحث القرآنية، أي التي تختص بالقرآن الكريم بالدرجة الأولى دون غيرها.

إن الإعجاز البلاغي من أهم موارد الإعجاز في القرآن الكريم وأصنافه، لذا كان للبلاغي دور في فهم وتفسير الكثير من الآيات القرآنية، وما صوره من الاختلافات في تغيير الحروف والمباني في تغير المعنى بلاغياً، لذا كان للبلاغي دور في بيان حجية قوله، وفي هذا الباب، وليس في أبواب أخرى، أو في غيرها من الأبواب.

٣ـ حجية قول المفسر:

بناءً على هذا القول: فإنه لا يصح أخذ التفسير إلا من المفسر الجامع لشرائط العملية التفسيرية، أو الجامع لشرائط عملية فهم القرآن الكريم، حينها يكون قول المفسر حجة، لا إشكال في الأخذ به.

وبناءً على ما تقدم؛ (فليس لغير أهل الاختصاص في مجال التفسير ان يدلوا بدلوهم، بلا لا يجوز لهم ذلك البتة؛ كما هو الحال في العملية الاجتهادية الفقهية، فليس لغير أهل الاختصاص إلا الأخذ عن الفقيه الجامع للشرائط، ونعني بغير أهل الاختصاص في النتاج التفسيري كل ما عدا المفسرين، حتى وان كانوا من الفقهاء أو الفلاسفة أو المتكلمين)[٥].

إن هناك كلاماً حول كون قول المفسر حجة أم لا، ولقد فُصل القول بذلك في الكتب المختصة، إلا أنه عموماً يعتبر قول المفسر حجة مع تمامية الشروط، وكون المفسر من أصحاب الخبرة، ومن ذوي الاختصاص.

على أن يكون أساس فهم اللغة العربية من أساسيات المفسر وشروطه، ذلك ان اللغة العربية وآدابها تُعد من مصادر الاستمداد المهمة، وهي الأساس والمقياس، فالنص الذي جاءت فيه هو نص عربي، فالمراد باللغة العربية وآدابها هو: (علم اللغة، والمعاني والبيان، والصرف والنحو، فإن كثيراً من القواعد مستلهمة منها)[٦].

يقول خالد العك في توضيح ذلك: (فإن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، والمعنيّ بقواعد العربية؛ مجموع علوم اللسان العربي، وهي فن اللغة والتصريف، والنحو والمعاني والبيان وغير ذلك)[٧].

ولا يكفي التدريب بل لا بدّ من السليقة السليمة، ولا يكفي الحفظ بل المراد هو وجود جرس اللفظ والسمع، وخلاف ذلك فإن الوقوع في الخطأ وارد جداً، بل كثير.

اللغة ودورها المعرفي

إن الكلام عن اللغة يقودنا إلى التعريف بثلاثة مصطلحات مهمة كمقدمة مهمة، وهي:

١ـ اللسان:

وهو: (ملكة الكلام، وهو مرتبط بالتكوين العقلي والنفسي لديه... هذه الملكة تجعلنا نتخيل إمكانية وجود مخرجات لا نهائية من اللغات والأصوات واللهجات وأساليب الكلام عبر التاريخ)[٨].

٢ـ اللغة:

وهي: (تواضع جماعي على نظام في الكلام، وبالتالي هي منتج اجتماعي، وهذا المنتج الثقافي أو الاجتماعي أو الجمعي هو الذي يسمح للسان بكيفية التكلم في داخله)[٩].

٣ـ الكلام:

وهو: (ما نقوله نحن كأفراد في داخل نظام اللغة... وهذا النظام جاء عبر مواضعة اجتماعية، ونحن كأفراد حين نتكلم سواء أكان حديثاً يومياً، أم نصوصاً مكتوبة، وسواء أكانت رسمية أم شخصية، كل ذلك يكون كلاماً ضمن نظام اللغة)[١٠].

ثم ان السير في مسائل اللغة العربية عموماً واللغة القرآنية خصوصاً يحتاج إلى أمرين مهمين لا بدّ من التنبه لهما:

الأول: التوليد أو الألفاظ المُوَلدَة، والتي تُطلق على المُحدث من كلام الناس، مما ليس له أصالة في العربية.

الثاني: أهمية جرس اللفظ والسمع، وهذا لا يكون إلا عند العربي أصلاً وأصالة، وذوقاً وكلاماً وولادة، وفهماً وتعاملاً.

إن هذين الأمرين من الأمور المهمة التي لا بدّ من التنبه لهما من قبل مفسر القرآن الكريم، والدارس لقواعد التفسير.

أهمية القواعد اللغوية

يشار للقواعد اللغوية بأنها؛ التي تهتم باللغة العربية وآدابها، والتي يراد بها: علم النحو، والصرف، والبلاغة، فإن لهذه العلوم تأثيراً كبيراً في فهم آيات القرآن الكريم وتفسيرها؛ لأن تشخيص هيئة الكلمة ومادتها، كالفعل الماضي والمضارع، واسم الفاعل، واسم المفعول يكون في علم الصرف، ومعرفة مكانة المفردات وموضوعها في الجملة من جهة: الفاعل، أو المفعول، أو المبتدأ والخبر، والحال يكون في علم النحو، ومعرفة بعض المسائل تكون في عهدة علمي المعاني والبيان[11].

إن تشخيص هذه الأمور التي ذُكرت ومعرفتها وتفصيلها وكذلك التفريق بينها، يعد من الأمور المتعسرة أو المتعذرة في بعض الأحيان، وذلك بسبب كثرة الاحتمالات التي تجري على آية معينة.

وبهذا الشأن يقول السيد الطباطبائي: (لأنه في تركيب آية واحدة ربما تصل الاحتمالات إلى مائتين)[12] وربما أكثر.

إن اللغة تُعدُّ مصدراً وأساساً في عملية التفسير، إذ ان لها أثراً مهماً في إدارة عملية التفسير ومن ثَمَ بناءها وتطويرها، ومن المعلوم بأن مجمل العمل

التفسيري يقع على عاتق اللغة التي تعد الأصل في الدرس القرآني.

فالتفسير يحتاج إلى (اللغة)؛ لأن القرآن الكريم نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[١٣]. وبذلك فلا سبيل إلى معرفته إلا من خلال قواعد اللغة، مع تحديد طريقة التعاطي معها.

يقول محمد علي الرضائي: (من هنا فإن قواعد اللغة العربية وآدابها تكون ضرورية في عملية فهم وتفسير القرآن، وأن عدم الاهتمام بها قد يوجب الإبهام في فهم المراد من كلام الله تعالى، ولذا أكد المحققون في قواعد التفسير على هذه القواعد)[١٤].

على ان يراعى في ذلك أمران مهمان وهما: (التوليد)، و(جرس) اللفظ والسمع، وبخلاف ذلك لن يتم التفسير الصحيح لألفاظ القرآن الكريم (المسموعة)، و(الملفوظة).

يقول عبد الرحمن العك: (إن القرآن كلامٌ عربي فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، والمعنيّ بقواعد العربية، مجموع علوم اللسان العربي، وهي فن اللغة والتصريف، والنحو والمعاني والبيان وغير ذلك)[١٥].

لذلك فإن معرفة اللغة، وقواعدها؛ مهمٌ جداً، وذلك من أجل فهم المعاني المنطوية عليها تراكيب وألفاظ تلك اللغة وإدراكها.

وعن هذا الأمر المهم يقول الزركشي: (ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يُحكّم التفسير الظاهر، فهو كمن ادّعى البلوغ إلى صدر البيت قبل تجاوز الباب. فظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بدّ منها للفهم، وما لا بدّ فيها من استماعٍ كثيرٍ؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب. فما كان الرجوع فيه

إلى لغتهم، فلا بدّ من معرفتها أو معرفة أكثرها؛ إذ الغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق الفهم ليفتح بابه، ويستدل المريد بتلك المعاني التي ذكرناها من فهم باطن علم القرآن وظاهره)[١٦]. ويقصد بالتفسير الظاهر، ظاهر الألفاظ العربية، وذلك من خلال بيانها وفق اللغة العربية ووفق علم النحو.

نعم، تأتي أهمية القواعد اللغوية كونها الطريق لتحقق الفهم وتحقيقه، على شرط فهم كيفية تكون تلك القواعد، وان لا تكون هي الحاكمة على القرآن الكريم، بل القرآن الكريم هو الحاكم عليها، أو ان له خصوصيته التي لا تقاس بغيره.

يقول المازندراني: (إنما تتكفّل لبيان قواعد اللغة العربية علوم: اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان. ولم تنزل آية من الآيات القرآنية، إلا على أساس هذه القواعد)[١٧].

إن هذا الكلام من الخطأ والشطط الواضح، فالقرآن الكريم نزل باللغة الخاصة به ككتاب سماوي، وهو لم يجامل العرب أو العربية الدارجة ليوافقها، وهذا من الأخطاء التي وقع فيها الكثير، وسبب ذلك ان الكثرة ممن تناولوه هم من الأعاجم المسلمين، وهنا تأتي قضية (التوليد) و(جرس) اللفظ والسمع معاً، إذ لم يستطيعوا تجاوزها ولن يستطيعوا، لذا قاسوا القرآن الكريم على غيره، وهذا من أكبر الأخطاء التي لا تغتفر وأكثرها.

نعم، إن قواعد اللغة العربية وآدابها تعد ضرورية في عملية فهم القرآن الكريم وتفسيره [١٨]، لكن على ان لا تكون حاكمة على القرآن الكريم، بل ان القرآن الكريم هو الحاكم والمهيمن عليها.

اساسيات لغوية مهمة

إن من المهم أن يتم البحث أو الكتابة عن الأساسيات المهمة والخاصة

باللغة، لذلك فإنه لا بدّ هنا من الإشارة إلى أساسيات لغوية مهمة هي:

١ ـ اللغة العربية الفصحى ودورها:

إن طريق الحصول على قواعد اللغة العربية وآدابها يكون بالرجوع إلى اللغة العربية الفصحى، وعادةً ما يرجع أدباء كل لغة إلى الأشعار والنصوص النثرية الفصيحة، وقواعد العربية عموماً منها ما هو محل اتفاق، ومنها ما هو محل اختلاف[١٩]. على ان يكون للقرآن الكريم خصوصية خاصة به، فلا يصح تفسير كلمة في القرآن الكريم بلفظة عربية قديمة ـ على الفرض ـ ذلك بأنّ القرآن الكريم جاء لأمور وقضايا، الله تعالى أعرف بها، وأعرف بطرق توصيلها، ثم ان القرآن الكريم قد صاغها أو وضعها في صياغة خاصة، تختلف عن الصياغات السابقة، أو المتداولة عند الناس.

وهنا ملاحظة مهمة هي: (إن عزل أي مفهوم عن منظومته المعرفية التي يَتبعُ لها سيؤدي إلى حدوث انقطاع بينه وبين المصطلح الذي يُعَبِر عنه، وسيؤدي لحدوث تباين بين لفظ المصطلح ومضمونه الحقيقي، وبذلك يقع اللبس، وعدم الفهم، المؤدي للتأويل الخاطئ)[٢٠].

تتركز وتتحتم الأهمية عندما يكون البحث تاريخياً، فعلينا حينها إتقان فهم تلك المفاهيم التاريخية والتراثية؛ لنبتعد عن الخطأ واللبس، لكي تتحقق الجدوى المعرفية المرادة من البحث العلمي.

إن على الباحث في المفاهيم التاريخية والتراثية بيان أسس تلك المفاهيم وأصولها، ومن ثم تطور استعمالاتها على مر العصور، ليمكنه ان يكشف عن التحولات الطارئة على تلك المفاهيم التي بنيت عليها أصول العقائد أو أصول القوانين وإن متابعة أصل الانطلاق ثم التحول والقبول أو الرفض

يكشف للباحث عن مراحل تطور تلك المفاهيم.

نعم، لا بدّ من البحث عن ألفاظ القرآن الكريم على مستوى (المفردة)؛ لما لذلك من أهمية في معرفة خصوصيات كل مفردة، وتاريخها، ومزاياها، وقابلياتها.

٢ ـ دور القرآن الكريم في علوم العربية

ظهرت علوم الصرف، والنحو، والمعاني والبيان بعد نزول القرآن الكريم، وكان للكتاب العزيز الدور الأساس في إيجادها؛ لأن العرب قبل الإسلام لم يكن لديها غير الشعر الجاهلي المتناثر، وببركة القرآن الكريم وتفسيره وبتوجيه من أهل البيت ﷺ تشكلت علوم اللغة العربية عند العرب[٢١]. فالقرآن الكريم هو من أحيا العربية وحفظ لها كيانها ووجودها، وأقام لها أسسها وقواعدها.

وإلى ذلك أشار عباس محمود العقاد (ت ١٩٦٤م) بقوله: (لولا القرآن الكريم لكان من المشكوك فيه كثيراً أن يتوفر العلماء على وضع النحو وعلوم البلاغة، واستقصاء المفردات وتحري مصادر الفصيح والدخيل... ومما لا خلاف فيه أن اللغة العربية نشطت هذا النشاط وتقدمت هذا التقدم، لأنها لغة كتاب مقدس يدين به المسلمون وهو القرآن الكريم)[٢٢].

فلولا القرآن الكريم لما حُفظت اللغة العربية، ولولا أنه كتاب مقدس لما عُني بها، ولولا تأكيده لوجوب عبادات معينة باللغة العربية الفصيحة لذابت العربية ولما بقي لها وجود، ذلك ان الداخلين في الإسلام من غير العرب أثر بكثير من العرب، مضافاً إلى التوليد الذي طرأ على العربية.

٣ ـ ضرورة استقصاء علوم اللغة العربية

إن قواعد علوم اللغة العربية (الصرف، والنحو، والمعاني، والبيان) كثيرة تحتاج إلى استقصاء، وتوضيح؛ لأن فيها ما هو مختص باللغة العربية حصراً،

ومنها ما هو متداخل مع علومٍ أخرى، ومن هنا فمن اللازم على الباحث في قضايا تفسير القرآن الكريم التمييز بينها لتحقيق الفائدة المرجوة من البحث، ولتحقيق الجدوى المعرفية المطلوبة.

وهذا ما أشار إليه الأستاذ ريمون طحان بقوله: (لم يلبث اللغويون الأواسط أن استوردوا قواعد علمهم من علوم دنيوية دخيلة عليهم، اقتحمت قواعد المنطق والآراء الفلسفية حيز علوم اللغة، وبنى العلماء قواعدهم وأقيستهم وموازين استنباطهم على ما نادى به علماء الفلسفة والمنطق والجدل والكلام وما وراء الطبيعة، وذلك نتيجة تفاعل الحضارة العربية مع حضارات البلاد المفتوحة، وبدت سمات تأثير الحضارات الدخيلة، في جميع ميادين علوم اللغة)[٢٣]. لذلك فمن اللازم استقصاء علوم اللغة العربية علماً بعد علم، ومعرفة المختص باللغة من غيره من حيث النشأة والتطور.

إن من المهم جداً استقصاء علوم اللغة العربية، لما لذلك من أهمية كبيرة في فهم ما يتعلق بذلك الاستقصاء، ألا وهو فهم كيفية تفسير المفردات والألفاظ القرآنية؛ لأنّ ذلك هو الأساس في العملية التفسيرية، وبالتالي فهم الآيات القرآنية بالشكل الصحيح، قدر الإمكان، وبقدر الطاقة البشرية.

٤ ـ أهمية المسار التاريخي للغة العربية

إن من اللازم عدم غض النظر عن أهمية المسار التاريخي للغة كونها مؤسسة أكثر منها لهجة، أو علماً، أو غير ذلك.

يقول عالم اللغة الفرنسي المشهور جان بياجه: بأن (اللغة مؤسسة اجتماعية تحكمها نواميس مفروضة على الأفراد، تتناقلها الأجيال بضرب من الحتمية التاريخية، إذ كل ما في اللغة ـ راهناً ـ إنما هو منقول عن أشكال سابقة هي

الأخرى منحدرة من أنماط أكثر بدائية، وهكذا إلى الأصل الأوحد أو الأصول الأولية المتعددة)[٢٤].

فمع الإحاطة والإلمام بهذه الأساسيات ـ قدر الإمكان ـ يمكن فهم اللغة العربية، والتي هي طريق لا خيار فيه في فهم القرآن الكريم، ومعرفة معانيه، وتدبر ألفاظه، وتفسير آياته، لكن ضمن ذوق القرآن الكريم، وليس ضمن ذوق اللغة العربية، وهذا ما أكدنا عليه مراراً وتكراراً.

٥ ـ حجية قول اللغوي في فهم مفردات القرآن الكريم

أي أنْ يكون قول اللغوي حجة، يأخذ بكلامه، لكونه من أهل الاختصاص، لذلك ووفق ما تقدم يقال: (ان اللغوي من أهل الخبرة في تعيين الأوضاع وظواهر الألفاظ، وقد تحقق البناء من العقلاء على الرجوع إلى أهل الخبرة في كل فن، بلا اعتبار التعدد والعدالة، كالرجوع إلى المهندس في تقويم الدار مثلاً، وإلى الطبيب في تشخيص المرض وعلاجه، ولم يثبت ردع شرعي عن ذلك)[٢٥].

نعم، لذلك نجد أدلة كثيرة قد نصت على حجية (المنهج اللغوي) في عملية التفسير.

فقد روي عن النبي الأكرم ﷺ: ((أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه))[٢٦].

بهذا الصدد، وعن هذا الحديث قال الشيخ الطبرسي: (إن الإعراب أجل علوم القرآن، فإن إليه يفتقر كل بيان، وهو الذي يفتح من الألفاظ الاغلاق، ويستخرج من فحواها الأعلاق)[٢٧].

ففهم الكلام العربي يحتاج إلى ذوق عربي، وجرس سمع عربي، وإلى قواعد عربية لا أعجمي فيها، ولا دخيل يعتريها.

يقول الشيخ محمد رضا المظفر: (قد ينص اللغويون على المعنى الحقيقي

للمفردة، فإن أفاد قولهم العلم بالوضع، فيكون قولهم حجّة، وإذا لم يحصل العلم من قول اللغوي بل أفاد الظن بالمعنى الحقيقي، ففي هذه الحالة يكون قول اللغوي حجّة من باب بناء العقلاء في الرجوع إلى أهل الخبرة، أو من باب حكم العقل في رجوع الجاهل إلى العالم)[٢٨].

إن قول اللغوي ليس حجة مطلقاً، بل هو حجة في موارد العلم بالوضع، وبخلاف ذلك فهو طريقي ويمكن الاستعاضة عنه بغيره. وهذه القاعدة تعد قاعدة أصولية قد استفاد منها كثيراً مفسرو القرآن الكريم، وهي لا تخلو من الخلط، بل من تداخل العلوم الذي حذر منه أهل الاختصاص.

٦ ـ مرجعية المشهور في حال تعارض أقوال اللغويين

يقول الشيخ الطوسي: (متى كان التأويل يحتاج إلى شاهد من اللغة، فلا يُقبل من الشاهد، إلا ما كان معلوماً بين أهل اللغة، شائعاً بينهم. وأما طريقة الآحاد من الروايات الشاردة، والألفاظ النادرة فإنه لا يقطع بذلك، ولا يجعل شاهداً على كتاب الله)[٢٩].

إن القرآن الكريم هو (المهيمن) على غيره من الكتب والعلوم والقواعد، والصحيح أن يكون القرآن هو المرجع لـ(اللغة) وليس العكس، لما في اللغة العربية من اشكالات أثيرت عليها، وبالخصوص في التفسير، فقد بنيت قواعد اللغة العربية على شاهدٍ واحدٍ فقط، أو على الشاذ والنادر من اللغات واللهجات.

٧ ـ مراعاة المعاني اللغوية في عصر نزول القرآن الكريم

أي معاني الألفاظ، والتي يجب مراعاة ما يراد بها وقت وزمان النزول، وهذا يحتاج إلى دقة كبيرة.

يقول الرضائي: (إن المخاطب الأول في صدر الإسلام هم العرب، وتكلم النبي صلى الله عليه وآله

مع العرب بلغتهم، فقد نزل القرآن بلغتهم، وعليه فمن اللازم معرفة معاني مفردات القرآن في عصر النزول حتى يتقدم خطوة في تفسير القرآن)[٣٠].

نعم، فمن اللازم معرفة لغة التخاطب، وبالخصوص زمن نزول القرآن، ومن ثم معرفة معانيها واستعمالاتها، لأنها مساعدة في تفسير القرآن الكريم.

٨ ـ نظريتان مهمتان حول لغة القرآن الكريم

لقد ذكرت نظريات كثيرة حول لغة القرآن الكريم، وهي متكثرة متعددة، وأثير على بعضها أو أغلبها أو كلها ـ ربما ـ ملاحظات كثيرة، لذلك فيمكن لنا ـ هنا ـ تحديد نظريتين مهمتين بخصوص لغة القرآن الكريم، هما:

أ ـ النظرية الأولى: نظرية اللغة الواضحة

تفيد أنّ القرآن الكريم واضح جداً، وان ورود ألفاظ كـ(العام)، (السنة)، (الحول)، (الحجة) هو لأنها مختلفة ومتغايرة فيما بينها، وحينها فإنه لا يكون في القرآن الكريم ترادف.

كذلك يمكن القول بنحو ما أنه ليس هنا أي (مجاز) أو (كناية) أو (تشبيه) كما في اللغة العادية، بل كلٌ بحسبه.

لكن سيكون هنا سؤال مهم حول القرآن الكريم وفق هذه النظرية، وهو حول وجود (المتشابه) في القرآن الكريم؟ وكذلك وجود ألفاظ ومفردات غير واضحة كـ(الحروف المقطعة) في القرآن الكريم؟ فما هو الجواب؟

ب ـ النظرية الثانية: نظرية اللغة المشفرة

أي ان القرآن الكريم قد جاء بعبارات (مشفرة) في مواضع وموضوعات معينة، وذلك لغايات لربما منها (الحفظ) أي: حفظ القرآن الكريم من يد المتلاعبين، حينها فإن الألفاظ كـ(عام)، و(سنة)، و(حول)، و(حجة) هي

واحدة، والترادف ـ هنا ـ يجري فيها وفي غيرها، وذلك لأجل حفظ القرآن الكريم، لكننا ـ هنا ـ لن نمنع (المجاز) المساوق للمبالغة وللكذب كونه يعني خلاف الحقيقة، ليثار سؤال هو: هل في القرآن الكريم مبالغة وكذب وأساطير وتخيلات؟

وكذلك لن نمنع وقوع (الكناية) و(التشبيه) في القرآن الكريم كما في اللغة العادية، فما هو الحل؟ وما هو تخريجها وتوجيهها؟

للجواب عن الأسئلة المتقدمة، وحلاً للإشكاليات نقول: إن النظرية الأولى (نظرية اللغة الواضحة) هي الأصح والأصلح عندنا، فإن لغة القرآن الكريم هي لغة واضحة، وكل لفظة وردت لها خصوصياتها ولها معانيها، وبذلك فإنه لا يوجد ترادف في القرآن الكريم، وبالتالي نمنع وجود (المجاز) بالدرجة الأولى، ومن ثم نمنع وبنسب ووفق منهج معين (الكناية) و(التشبيه) من الجريان في القرآن الكريم جريانها في اللغة العادية.

أما بشأن وجود (المتشابه) في القرآن الكريم، ووجود (الحروف المقطعة) فإن القرآن الكريم قد أجاب عن ذلك، بأن هذه الموارد هي من خصوصيات (الراسخ)، فإنه ولأجل ان تعرفه الناس، قد اختصه الله تعالى بامتلاك أمور ومعرفة أمور كثيرة منها: معرفة (المتشابه) و(الحروف المقطعة) في القرآن الكريم على سبيل المثال، والتي أوردت جملة من الأحاديث والأقوال بأنها أسرار ما بين الله تعالى وعبادة الذين اصطفى من أنبياء وأوصياء عليهم السلام.

أساسيات قرآنية مهمة

إن هناك أساسيات قرآنية مهمة، منها السياق، ولغة القرآن الكريم، إذ لا بدّ من مراعاة السياق (الخاص) بالآية القرآنية، وهنا لا بدّ ان نتكلم عن

(السياق) وعن (لغة القرآن الكريم) ليتوضح لنا ما نريد بيانه في هذا الثابت السادس من الثوابت المهمة في تفسير القرآن الكريم.

١ـ السياق:

وعن أهمية السياق قالوا: إن للسياق دوراً مهماً في فهم النصوص عموماً، وفي فهم النص القرآني بشكلٍ خاص، وله أهمية في تحديد المعاني، وفي ضبط الدلالات، وتظهر أهمية السياق فيما يلي[٣١]:

أ ـ أن السياق يعين على بيان المعنى وعلى تحديده.

ب ـ أن للسياق أهمية في بيان صحة التفسير، والترجيح في حال الاختلاف.

جـ ـ أن السياق مهم في بيان المناسبات على اختلاف أنواعها، كمناسبات السور، ومناسبات الآيات، ومناسبات القصص القرآني، ومناسبات أسماء السور القرآنية.

د ـ أن السياق يعين على تحديد أسلوب الكلام، وبالخصوص في موارد مخالفة الظاهر، أو التردد ما بين الوضوح والخفاء، أو الإعلام والإبهام.

كما وأن السياق القرآني يتميز عن السياق البشري العادي بعدة سمات منها:

أولاً: الضبط: فـ(ضبط السياق القرآني لفهم المتلقي؛ فالسياق هو صاحب السلطة في تحديد دلالة الألفاظ ومعانيها المقصودة، فهو الضابط لفهم المتلقي، ذلك ان الألفاظ إذا تركت على عواهنها دون عقال، حملت ما يراد وما لا يراد من معان، لذا كان السياق القرآني مقيداً ومحدداً للمعاني)[٣٢].

ثانياً: منع التفكك والتجزئ: فـ(القرآن يتسم بالترابط والتشابك بين آياته، فلا انفصال، ولا انقطاع، وذلك يعود لترابط المعاني وتتابعها ـ ولا ريب ـ فالقرآن كلام واحد وسياق متواصل من أوله إلى آخره)[٣٣].

ثالثاً: المرونة والحيوية: فإن السياق (يتمتع باحتمالية عدة معان، ذلك ان دلالاته متنوعة، ومرونة السياق مظهر إيجابي يدعو إلى إذكاء عقل المجتهد، وعدم قصره على معنى واحد لا غير، وفي الوقت نفسه يضبط بضابط السياق؛ إذ يعطيه مجالاً محدداً في المعاني والمفاهيم، وهذه المرونة والحيوية هي ما عُرف فيما بعد بعلم التأويل)[٣٤].

٢ـ لغة القرآن الكريم:

أما عن الآراء في لغة القرآن الكريم فقد ذكروا عدة آراء منها:

أ ـ احتواء القرآن الكريم على لغات متعددة منها الأعجمي وغير العربي؛ هو دلالة على عالميته.

ب ـ احتواء القرآن الكريم على لغات أخرى هو لتأثره بها وذلك وفق نظرية (الأثر والتأثر)، التي قال بها المستشرقون.

جـ ـ ليس في القرآن الكريم ما هو غير عربي، فإن وجد ذلك فإن اصله ومرده إلى أصول عربية أصيلة قد هُجرت.

د ـ وجود ألفاظ غير عربية (أعجمية) في القرآن الكريم كأسماء الأعلام هو من باب الأمانة العلمية، وبالخصوص في الأسماء، إذ ان تلفظها وتداولها يكون واحداً في كل اللغات، فـ(جون) يبقى اسمه كذلك واقعاً وتلفظاً في كل اللغات، وكذلك (زيد) و(عمرو)، وما شاكل ذلك.

نعم، إن هناك أسساً مهمة في اللغة العربية، فالسير في مسائل اللغة العربية عموماً واللغة القرآنية خصوصاً يحتاج إلى أساسين مهمين لا بدّ من التنبه لهما:

الأول: التوليد أو الألفاظ المُوَلدةَ، والتي تُطلق على المُحدث من كلام الناس، مما ليس له أصالة في العربية.

الثاني: أهمية جرس اللفظ والسمع، وهذا لا يكون إلا عند العربي أصلاً وأصالة، وذوقاً وكلاماً وولادة، وفهماً وتعاملاً.

إن قواعد اللغة العربية وآدابها تعد ضرورية في عملية فهم القرآن الكريم وتفسيره[٣٥]، لكن على ان لا تكون حاكمة على القرآن الكريم، بل ان القرآن الكريم هو الحاكم والمهيمن عليها.

يقول الأستاذ عبد الأمير زاهد: (ان القرآن منذ اللحظات الأولى لإشراقات نزوله أحدث حركة فكرية شاملة عند العرب، وقدم لهم مضامينه العقلية الجديدة ومنظومته القانونية وهرم قيمه الأخلاقية المتماسكة، في أرقى أسلوب من أساليب التعبير وأعلى شكل من أشكال البيان فجمع بين دقة وعمق وكونية المضمون المعرفي، وأعلى جمالية في الأسلوب والشكل، ويعتقد الكثير من علماء اللغة العربية أن قضايا اللغة وآدابها وعلومها نشأت وتطورت في ظل القرآن الكريم، ناهيك عمن يرى إن عموم الثقافة العربية الإسلامية كان مصدرها ذلك النص المقدس)[٣٦].

هنا كلام دقيق هو: ان قواعد النحو كُتبت بعد القرآن الكريم، والمعاجم والقواميس كتبت بعد القرآن الكريم، والصرف والبلاغة كتبت بعد القرآن الكريم، فكيف لشيء كتب بعد القرآن الكريم يكون حاكماً عليه!؟

ثم ان المشكلة الكبرى في قضية الشواهد على القواعد، والتي تارة ما تكون بيت شعر قاله شخص مخمور، أو كلمة لم يقل بها قائل لا قبل ولا بعد قولها، أو لفظة قيل بأن قائلها قوم لا وجود لهم، وهكذا.. فهل من المعقول ان تكون مثل هكذا شواهد حاكمة على اللغة العربية وعلى القرآن الكريم؟! يقيناً لا يُقبل ذلك، بل من الخطأ القبول به، وهذا هو سبب من أسباب

تجميد العقل والتفكير، والاعتماد على قوالب ليست قوالب حقيقية، بل من المفترض تركها، إذ لا مانع عقلي أو شرعي من تركها والانتقال إلى غيرها، فلماذا هذا التقليد الأعمى لقواعد غير معصومة، وجريانها على النص المعصوم؟

أسئلة كثيرة على من يقول إنه مختص الإجابة عنها، وإلا فمن العيب ان يدعي الاختصاص من يقلد وديدنه التقليد من دون إبداع أو إعمال عقل.

وعن أصل اللغة العربية يقول الأستاذ أحمد عبد الستار الجواري: (والقرآن في ما اشتمل عليه من معالجات أدبية متنوعة متعددة قد أسس للأساليب والتراكيب التي استطاعت بعد ان قامت أركان الحضارة، أن تستوعب أفكارها ومعانيها، وان تكون تلك الأساليب والتراكيب وعاءً للعلم والفلسفة وسائر ألوان الحياة الجديدة، فوق كونها أداة التعبير الأدبي المؤثر البليغ. والقرآن في صورته الطلقة الحرة من كل قيد، هو الذي خرج بالأساليب العربية من حدودها، وهو الذي أطلقها من قيودها فصارت أداة التعبير الفنية عن الحياة والحضارة في جوانبها وأجزائها المختلفة. والقرآن إذن هو الخليق بأن تكون أساليبه وتراكيبه المثال الذي يقتدى به وينحى نحوه، ويهتدى به)[٣٧].

وهذا هو المفروض، والأصح، والأولى والأفضل كما أسلفنا، في بيان مكانة قواعد القرآن الكريم في اللغة العربية.

لكنه يقول بعد ذلك متأسفاً: (ولكن الذي كان ممن وضعوا النحو في أول الأمر، غير ذلك بل عكس ذلك من بعض الوجوه، فقد اشتطت بهم السبل وعميت عليهم المسالك، فتنكبوا سبل القصد، واعتمدوا في وضع قواعد النحو على ما بلغهم من كلام العرب شعره ورجزه ومثله. أو آثروا جانب المنطق، فتصوروا القاعدة قبل استقراء المادة اللغوية، وركبوا مركب الشطط،

فحاولوا أن يجعلوا للقواعد المجردة سلطاناً على المروي المأثور، يحكمونها فيه ويحسبون ان ذلك هو الصواب، وما هو إلا مجانبة الصواب)[٣٨].

نعم، هو مجانبة للصواب، ومخالفة صريحة للقرآن الكريم، ولهيمنته على كل شيء، ولاسّيما على اللغة العربية.

لذلك فإن لغة القرآن الكريم هي المهيمنة، وهي المقدمة على غيرها، وهي الشاهد والحاكم والمرجع في تحديد القواعد العربية وتبيينها، ذلك أنها هي أول من تم تدوينه قبل كتب النحو وكتب المعاجم والقواميس.

٣ـ الحركات الإعرابية:

إذ إن للحركات الإعرابية الداخلة على الكلمة أثراً كبيراً في تغير لفظها، وبالتالي معناها، فإن مادة الكلمة قد تكون واحدة، لكن التغير يحدث في الهيئة، أو الهيئة الخارجية، والذي تُحدثه الحركات الإعرابية الداخلة على الكلمة.

أساسيات تفسيرية

هناك جملة من الأساسيات التفسيرية المهمة، والتي لا بدّ من توضيحها، هي:

١ـ تفسير الكلمة:

أي إن تُفسر كلمة فكلمة، وهكذا، وهذه الآلية متبعة في التفاسير التجزيئية الخاصة بتوضيح المعاني، أو تفاسير المعاني، وهي آلية تجزيئية، وتدخل ضمن أسلوب التفسير التجزيئي.

فإن تفسير الكلمة مهم جداً في كل أنواع التفسير، فتوضيح معنى الكلمة مطلوب في جميع المناهج والاتجاهات والأساليب، إذ لا يمكن تفسير آية ما لم تُفسر كلماتها، وتفكك الكلمات، ليُعرف المراد من كل كلمة من حيث المعنى، والموقع، والدلالة.

٢ـ تفسير المقطع:

بأن تقطع الآية القرآنية إلى مقاطع لتُفسر، سواء أكانت هذه المقاطع تامة الدلالة أو لا، وهذه آلية مشهورة في التفسير التجزيئي، وما عليه أكثر المفسرين في تفسيرهم للقرآن الكريم وفق الأسلوب التجزيئي.

فإن تفسير المقاطع أعم من تفسير الجمل، فالمقاطع أكثر سعة من الجمل، وفي القرآن الكريم توجد مقاطع صغيرة، وأخرى كبيرة، وهنا سيبرز دور المفسر في كيفية التعامل معها، وتفسيرها بالشكل المناسب والصحيح والمفهوم.

إن تفسير المقاطع القرآنية مهم جداً، وبالخصوص لو تم تفسير المقطع كاملاً، أي المقطع الذي يعطي صورة كاملة عن المراد منه، فقد يكون المقطع مشتمل على أكثر من كلمة، وربما أكثر من جملة، وربما أكثر من آية، وهذا سيخضع لذكاء المفسر، وسعة تفكيره، بل وعربيته، وفهم الجرس اللفظي المناسب.

٣ـ تفسير الجمل:

أي التفسير بحسب الجمل، سواء أكان المراد بها الجملة العربية، أو المراد بها الجملة القرآنية، والجملة القرآنية تارة تكون مختصرة، وتارة تكون طويلة أطول من الجملة العربية بكثير.

ولقد بُحثت الجمل القرآنية في مباحث خاصة بها، تحت مصطلح (الجملة القرآنية)، وهي تارة تشابه الجملة العربية، وتارة تكون أكثر منها أو أعم منها.

إن تفسير الجمل في القرآن الكريم مهم جداً في فهم المراد، وفي استيعاب المقاطع المكونة من جملة واحدة، أو من عدة جمل، إذ عن طريقها، ومع مراعاة السياق، سيتم فهم المراد، وتتحقق العملية التفسيرية الصحيحة.

٤ـ تفسير الآية:

وذلك بأن تفسر آية ثم آية، وهذه الآلية تستعمل في السور القصار، أو في السور ذات الآيات القصيرة، بل هي الأساس في التفسير.

إن تفسير الآية القرآنية يضمن للمفسر الإحاطة بكلمات وألفاظ الآية، إلا ان هناك ما قد يلاقيه من صعوبات في بعض الآيات، كالآية القصيرة جداً، أو الآية الطويلة جداً، والتي قد تعادل سورة من السور القصار في القرآن الكريم.

إن تفسير الآيات القرآنية آية فآية أساس مهم من أساسيات تفسير القرآن الكريم، وهذه الطريقة تضمن تحقق نسبة كبيرة من الفهم، وسهولة التفسير، وتأدية المراد من العملية التفسيرية.

إن هذه الطريقة قديمة قدم القرآن الكريم، وهي الطريقة الأولى في تفسير آيات القرآن الكريم التي نزلت في أول الوحي على النبي الأكرم محمد ﷺ.

٥ـ تفسير سورة كاملة من سور القرآن الكريم:

بأن يأخذ سورة كاملة واحدة فقط فيفسرها وفق منهج أو اتجاه أو أسلوب معين، ولا يتناول غيرها.

إن هذه الآلية هي الأشهر في بداية العمل بالتفسير عند الأوائل من المفسرين، فكانت تفاسيرهم عبارة عن تفاسير لسور قرآنية معينة (واحدة)، فهم يعتنون بالسورة المفسرة، ويبحثون عن معاني كلماتها، وعن أحكامها، وما يستفيدونه منها في مجال العمل، وفي المجال الأخلاقي، والعِبادي.

أساسيات في فهم معاني القرآن الكريم

إن هناك جملة من الأساسيات المهمة لفهم معاني القرآن الكريم، وهذه الأساسيات هي أربع، ويمكن الكلام عنها، من أجل توضيحها، وهي:

أولاً: الاهتمام بمعاني القرآن الكريم:

لا بدّ من تفسير القرآن الكريم بأصله العربي المبين، بالتوافق مع المراد (الجِدي) القرآني، وليس مع المتعارف أو الاستعمال العرفي، أو المعنى المتداول.

إن الاهتمام بالمعاني العربية للقرآن الكريم سيعطي المفسر سعة كبيرة في الاستيعاب والفهم، كما وأن تاريخ تحولات وتبدلات وتغيرات الألفاظ مهم أيضاً، فالجمود على معنى اللفظ المقيد بتاريخ معين سيسبب خللاً في الفهم، ومن ذلك إسقاط معاني معاصرة للمفسر على ألفاظ قديمة ظناً منه بأنها شيء واحد، فذلك سيسبب خللاً في السير بالآية إلى مبتغاها.

نعم، قد تكون عموميات المعاني قابلة، لكن اللفظ المحدد بمعنى يحكمه السياق أو القرائن، لا يمكن توسيعه من دون دليلٍ على ذلك، وإن في القرآن الكريم كونه نصاً بلاغياً إعجازياً توجد معانٍ أولية، ومعاني ثانوية لا بدّ من الالتفات لها ومعرفتها.

يقول الشيخ محمّد جواد مغنيّة: (وهنا شيء آخر يحتاج إليه المفسِّر، وهو أهمّ وأعظم من كلّ ما ذكره المفسِّرون في مقدّمة تفاسيرهم لأنّه الأساس والركيزة الأولى لتفهُّم كلامه جلّ وعلا. ولم أر من أشار إليه... وهو أنّ معاني القرآن لا يدركها، ولن يدركها على حقيقتها، ويعرف عظمتها إلّا من يحسّها في أعماقه، ويسلّم معها بقلبه وعقله، ويختلط إيمانه بها بدمه ولحمه، وهنا يكمن السرّ في قول أمير المؤمنين عليه السلام: ذاك القرآن الصامت وأنا القرآن الناطق)[٣٩].

إن هذا يحتاج إلى خبرة، وإلى مصادر موثوقة يعتمد عليها في توضيح معاني الألفاظ حتى يصح النقل عنها، إذ ليس مطلق النقل صحيح، وليست كل المعاجم مختصة بجذور الكلمات، وبالخصوص جذور الكلمات القرآنية،

خصوصاً إن كل المعاجم قد أُلفت بعد نزول القرآن الكريم بفترة بعيدة جداً.

إن دراسة ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه تحتاج إلى دراسة (المفردات)، و(المفاهيم)، و(المصطلحات) القرآنية، وهو ما لم يعطَ الأهمية التي يحتاج إليها، فمن خلال (المفردات) و(المفاهيم)، و(المصطلحات) القرآنية ووضع قاموس مختص بها يمكن القضاء على الكثير من الأخطاء، وإبراز الكثير من المشتركات المفيدة. والعمل ضمن منظومة مفيداً جداً.

فإن عزل أي مفهوم عن منظومته المعرفية التي يَتبعُ لها، سيؤدي إلى حدوث انقطاع بينه وبين المصطلح الذي يُعَبِر عنه، وسيؤدي لحدوث تباين بين لفظ المصطلح ومضمونه الحقيقي، وبذلك يقع اللبس، وعدم الفهم، المؤدي للتأويل الخاطئ[٤٠].

نعم، تتركز الأهمية وتتحتم عندما يكون البحث تاريخياً، فعلينا حينها إتقان فهم تلك المفاهيم التاريخية والتراثية؛ لنبتعد عن الخطأ واللبس، لكي تتحقق الجدوى المعرفية المرادة من البحث العلمي. (فعلى الباحث في المفاهيم التاريخية والتراثية بيان أسس هذه المفاهيم وأصولها، ومن ثم تطور استعمالاتها على مر العصور ليمكنه ان يكشف التحولات الطارئة على تلك المفاهيم التي بنيت عليها أصول العقائد أو أصول القانون وقواعده، إن متابعة أصل الانطلاق ثم التحول والقبول أو الرفض يكشف للباحث مراحل تطور تلك المفاهيم)[٤١]. وهذا مهم جداً، ومن الأولى الانتباه له.

ثانياً: الإلمام بتحولات المعنى:

إن على المفسر الإلمام بتحولات معاني الألفاظ من مجال الوضع سواء أكان (المعجمي) أو (الاستعمالي)، فهناك معنى (حقيقي)، وقد يتحول هذا المعنى

الحقيقي بواسطة القرائن والأدلة إلى معنى (مجازي)، وهنا يتحتم على المفسر الإلمام بكل ذلك، كي لا يختلط عليه المعنى المجازي بالمعنى الحقيقي.

نعم، إن البحث عن تحولات معاني الألفاظ يقودنا إلى أمور مهمة، هي:

١ـ التوسعة: فإن هناك ألفاظاً كانت معانيها محدودة، إلا أنها توسعت بمرور الزمن بسبب كثرة الاستعمال، وما شاكل ذلك من أسباب.

٢ـ التضييق: فإن هناك ألفاظاً كانت معانيها واسعة، إلا أنها تضيقت بمرور الزمن بسبب قلة الاستعمال، أو ما شاكل ذلك من أسباب.

٣ـ الهجران: فإن هناك ألفاظاً قد هُجرت وطواها الزمن، ولا تُذكر إلا في كتب التاريخ.

٤ـ الانبثاق: فإن هناك ألفاظاً قد انبثقت واستُحدثت ووجدت، إذ لم تكن موجودة مسبقاً، وجاءت بسبب لغة، أو علم، أو كتاب، أو ما شاكل ذلك من أسباب.

٥ـ التبدل: أي التبدل من شيء إلى شيء آخر، بعد أن كان معروفاً بمعنى، أصبح شائعاً بمعنى آخر غيره.

٦ـ التولد: وهو ولادة معنى جديد، وذلك بسبب الحاجة، أو لأسباب أخرى أدت إلى هذا التولد.

كما وأنّ هناك أموراً أخرى كثيرة تختص بتحولات المعنى، لذا فإن على المفسر، أو من يدرس النص القرآني، الإلمام بهذه التحولات، إذ إن لها الأثر الكبير في فهم معاني مفردات النص القرآني.

ثالثاً: الإلمام بفقه التركيب اللغوي:

وذلك من علاقة المفردة بما شاكلها من المفردات التي تكون معها (جملة)، وهذا يحتم على المفسر ضبط قواعد النحو، والدلالات وما يتعلق بها، وشؤون

الجملة البلاغية، وكل ما يتعلق بذلك.

إن المراد بفقه التركيب اللغوي:

أولاً: (فقه اللغة): فإن هناك كتباً كثيرة قد كتبت عن فقه اللغة وما يتعلق به، كما وأن هناك كتباً قد تناولت علم اللغة، فضلاً عن نحو اللغة.

ثانياً: (التركيب اللغوي): أي اللغة في وضعها المتكامل المنسق في بناء أصواتها وألفاظها.

إن التركيب اللغوي يعد من أعلى مستويات التكوين اللغوي، ومن أهم مستويات التحليل في اللسانيات الحديثة.

ففي التركيب اللغوي تتم دراسة العلاقات التركيبية داخل (الجمل) لتصبح هذه (الجمل) ذات دلالات واضحة.

إن المراد مما تقدم هو فهم أساسيات العلاقات التركيبية المكونة للجمل، حتى يمكن فهم دلالاتها ومراداتها وأهدافها، وكل ما يتعلق بها، فذلك مهم جداً، ومفيد كثيراً، على طريق تحقق الفهم الصحيح، والفهم الصالح، والفهم المفيد، وحتى لا يكون العكس، والوقوع في إشكالات كثيرة.

رابعاً: الاهتمام بالسياق القرآني:

إن للسياق دوراً كبيراً في تحقق التفسير الصحيح، وذلك برصد ما لدلالة السياق القرآني من دور في إعطاء معنى محدد للمفردة، ومعنى محدد للمركب أو للتركيب، ومعنى آخر للكل أو للمجموع، فالسياق مهم، وله نظرية قائمة به بحد ذاتها، لها شروطها واسسها، وعلى من يتبناها ان لا يخلط بينها وبين غيرها من نظريات مخالفة.

إن من الأمور الّتي تُعين المفسِّر على تحديد المراد هي (دلالة السياق)؛ فإنّها من أعظم القرائن الدّالة على مُراد المتكلِّم، فمن أهملها فَقَدَ واحدة من أهمّ

الدلالات، ووقع في الخطأ في كثير من الموارد التالية، المتعلقة بالمورد الأول، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ دلالة السياق إنّما تؤثّر في الدلالة على المراد ما لم تقم قرينة أقوى منها على خلافها، كما هو الحال في آية التطهير على سبيل المثال.

كما وأن هناك فرقاً بين السياق كنظرية بحد ذاتها، والسياق كدليل، إذ انه يقسم إلى قسمين من حيث الدلالة العامة، ومن حيث الدلالة الخاصة، فلا بدّ من التنبه إلى ذلك. على سبيل المثال أنظر إلى قوله تعالى: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾[٤٢].

فمع هذا (القطع) يأتي احتمال أن المراد هو التكريم لشخص عزيز وكريم، لكن لو قرأنا الآية كاملة بكامل (سياقها) سيتوضح لنا عكس ذلك، أو يتبين لنا شيء آخر، فنجد حينها أنّ سياق الآيات يدلّ على أنّ المراد من العزيز الكريم هو (الذليل الحقير).

قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ* ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٤٣].

تكمن حجّيّة السياق في جريان سيرة العقلاء في مقام التفهيم والتفاهم، أي على مراعاته، مع عدم ردع الشارع عن هذه الطريقة في فهم الناس لكلامه، وعدم اختراعه لطريقة أخرى غير هذه الطريقة التي جرى عليها العقلاء، بل كان جريان الشارع على هذه الطريقة في مقام إيصال مراده.

إن على المفسر الاطلاع على النظريات ووجهات النظر بشأن السياق، فهو حاكمٌ عند بعض، وغير حاكم عند بعضهم الآخر، وبين بين عند آخرين، وهذا يتطلب إلماماً كاملاً بكل ما يتعلق بالسياق، وتقسيماته، وموارده، ومدى حاكميته، ثم جريانه على الكلمة، والجملة، والمقطع الكامل.

تقسيمات ألفاظ القرآن الكريم

هل ورد في النص القرآني ألفاظ غير عربية؟ أو غير واضحة كـ(الغَريب والمُشكل والمُهمل)؟ وما هي الآراء في ذلك؟

إن الآراء في وجود غير العربي قد تعددت بتعدد المفسرين، وتعدد المذاهب، إذ إن جملة من المفسرين يقولون بوجود (الأعجمي) و(الغَريب) و(المُعرّب) في القرآن الكريم.

وهنا نقف عند هذه المصطلحات المهمة، وهي:

١ـ الألفاظ المفهومة:

ومن ذلك (واضح الدلالة): فـ(إن واضح الدلالة أربعة أنواع: الظاهر، النص، المفسر، المحكم. وكلها واضحة الدلالة، ولكنها تتفاوت في قوة وضوح دلالتها على المراد منها، فأقواها في واضح الدلالة: المحكم، ثم المفسر، ثم النص، ثم الظاهر. ويظهر أثر هذا التفاوت عند التعارض، فإذا تعارض ظاهر ونص قدم النص، لأنه أوضح دلالة من الظاهر. وإذا تعارض نص ومفسر رجح المفسر على النص، ويرجح المحكم على الجميع)[٤٤].

٢ـ غريب القرآن الكريم:

فإن المراد بغريب القرآن: (هي الألفاظ التي يخفى معناها ويدق على العامة دون الخاصة، وذلك في بيئة معينة بسبب وفودها من بيئة مكانية غريبة، أو بسبب استعمالها في غير المعنى الذي وضعت له)[٤٥].

وقد أوردوا عدة أسباب للغرابة، ذكرتها الكتب المختصة بذلك، ويمكن الرجوع إليها.

٣ـ اللفظ المُشكل في القرآن الكريم:

والمراد به: (ما أشكل فهمه على الناس، وسمي بذلك لأنه دخل شكل غيره فأشبهه وشاكله)[٤٦].

٤ـ الألفاظ المُبهمة في القرآن الكريم:

والمراد بها: (هي ما أُبهم من أسماء الأشخاص والأماكن والآماد والأعداد الواردة في كتاب الله تعالى)[٤٧].

إن بيان (المفهوم) و(الغَريب) و(المُشكل) و(المُهمل) أمرٌ مهم، إذ على المفسر بيان ذلك وتوضيحه، فهذه خطوة تفسيرية مهمة جداً، كما وانها مهمة للقُراء.

لا بدّ من أنْ نعلم بأن اللفظ (الغَريب) و(المُشكل) و(المُهمل) هو بالنسبة للقارئ، وليس في أصله، وإلا فإن القرآن الكريم (عربيٌ مبين)، إلا أنه وبسبب اختلاط الألسنة، وتباعد الأزمنة، وتكثر اللغات واللهجات واختلاطها معاً من غير تمييز حصل ذلك، وهنا يأتي دور المفسر في حل الإشكاليات، وتوضيح المراد بأسهل الطرق وأيسر الأساليب.

المفردة القرآنية

إن من المهم الوقوف على المراد بـ(المفردة القرآنية)؛ من حيث اللغة، ومن حيث الاصطلاح، حتى يتوضح ذلك للقارئ.

أولاً: المفردة لغة:

قال ابن فارس: (الفاء واراء والدال أصل واحد يدل على وحدة)[٤٨].

نعم، فإن (الفرد ما كان وحده، يقال فرد يفرد، وانفرد انفراداً، وأفردته: جعلته واحداً... والفريد: الشذر، والواحدة: فريدة... والله الفرد: تفرد

بالربوبيـة والأمـر دون خلقـه)[٤٩].

وقـال الفيروزآبـادي: (الفـرد: الوتـر والجمـع أفـراد وفـرادى... والفـرد ايضـاً: الـذي لا نظـير لـه... والفريـد: الـدر إذا نظـم وفصـل بغـيره، وقيـل: الفريـد بغـير هـاء: الجوهـرة النفيسـة كأنهـا مفـردة في نوعهـا)[٥٠].

يلاحـظ عـلى مـا تقـدم مـن النصـوص اللغويـة أنهـا تلتقـي عنـد العـدد (واحـد)، أي عنـد كل مـا هـو ضـدٌ للتثنيـة والجمـع.

ثانياً: المفردة اصطلاحاً:

إن المفـردة اصطلاحـاً: (هـي الكلمـة التـي تتكـون مـن حرفـين فأكثـر وتـدل عـلى معنـى، سـواء أكانـت فعـلاً أو اسـماً أو أداةً)[٥١].

أو هـي: كلمـة ليـس معهـا غيرهـا، وتـؤدي فهـماً خاصًـا بنفسـها، قـد يتغـير هـذا الفهـم بوجـود غيرهـا معهـا في تركيبـة توضـع بهـا.

أو هي: وحدة كلامية تقوم مقام الجزء من الكل في اللغة.

ثالثاً: أسماء أخرى للمفردة:

إن للمفردة عند البعض أسماء أخرى، منها:

١ـ الكلمة:

وهـي لغـةً: المشـتقةُ مـن الكلِـم، وهـو الجـرح، لتأثيرهـا في النفـس، أي لوقعهـا الكبـير عـلى النفـس عنـد نطقهـا، سـلباً أو ايجابـاً.

أمـا اصطلاحـاً فهـي اللفظـة الدالـة عـلى معنـى مفـرد بالوضـع، وهـي جنـسٌ تحتـه ثلاثـة أنـواع: الاسـم والفعـل والحـرف[٥٢].

٢ـ اللفظ:

لغةً هو: الترك، والطرح، تقول: أكلت التمر ولفظت النوى؛ أي طرحته.

أما اصطلاحاً فهو: صوت خارج من الفم، مشتملٌ على بعض حروف الهجاء، التي أولها (الألف)، وآخرها (الياء). فهو لفظ، والكلام ملفوظ، والمراد منه (الخروج)؛ أي ما يخرج من الفم.

رابعاً: طريقة القرآن الكريم في تأليف المفردات وما يتعلق بها:

إنّ للقرآن الكريم طريقته (الخاصة) في تأليف المفردات، وربطها، وتنظيمها، وإذا غيرت هذا الترتيب، وغيرت هذا النظام تغير المعنى، وخرجت المفردات عن مرادها الأصلي.

لا يمكن القول بأن اللغويين والنحاة هم فقط أصحاب اختصاص وبصر أو تبصر بمفردات القرآن الكريم؛ لأنهم قد لا يعتنون بالتراكيب تلك العناية المحمودة، ولا يعتنون بسائر الهيئات التي يستحقها التأليف، أو التي يقتضيها الغرض الذي يقصده القرآن الكريم، وعبثاً يستطيعون أن يستوعبوا تلك المعاني، لأن معاني المفردات القرآنية لا يمكن أن تحصر بتمامها، ولا يمكن معرفة تبدلاتها الصورية أو الصوتية، أو تغير الهيئة، أو تبدل السياق، فإن ذلك يحتاج إلى من هو أعرف بالقرآن الكريم من غيره ـ على وجه العموم ـ رغم وجود ما يمكن للناس عموماً، وللنحاة خصوصاً، معرفته، إلا أن هناك مفردات وتراكيب، ومقصود، ومراد، لا يعرفه إلا من خُوطب به.

نعم، إن اللغويين والنحاة مولعون بحصر النشاط اللغوي في (قواعد) تُحفظ وتطبق، ولكن من المشروع ـ عندنا ـ أن يخالطنا الشك في هذا المنهج في قياس المفردات القرآنية، لأننا باستمرار أمام وحدات أو تنظيمات جديدة وإن كانت أزلية في مفرداتها، لأن (القرآن الكريم متجدد النزول على قلوب التالين له).

لقد بتر الباحثون ـ لغويون ونحاة ـ قضية ترابط المفردات في القرآن الكريم، وذلك بحجة التمسك بحرفية معنى الإعجاز، وهم قد اغفلوا مدى تفوق المفردة القرآنية والعبارة القرآنية عن غيرها من الألفاظ والعبارات البشرية، وحملوها النظريات التي طبقوها على الألفاظ والعبارات البشرية!!!

لقد تعامل الباحثون والنقاد مع معاني القرآن الكريم بمفهوم عبارة الجاحظ المشهورة: (المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي).

لقد اعتبروا مفردات القرآن الكريم رموزاً صوتية دالة على معان مطروحة في الطريق، يعرفها الجميع على اختلاف مفاهيمهم، ونسوا أن مفردات القرآن الكريم هي: علم اليقين، والقول الفصل، ونهاية الرأي، وهي ثابتة في كيانها، وإن تعددها لا يعني اختلافها.

إن كل ما ميزوا به القرآن الكريم من كلام العرب هو بعض العبارات المرموقة التي تتردد على ألسنة الباحثين والنقاد، والتي يستشهدون بها على إعجاز القرآن أمثال: (إن القرآن جاء بأفصح الألفاظ في أحسن أنظمة تأليف)، أو قولهم: (اللفظة القرآنية هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ)، أو قولهم (إن القرآن قد جمع أشتات الألفاظ، فانتظمت واتسقت بطريقة تعجز عنها قوى البشر).

إن هذا لا يكفي لتفسير مفردات القرآن الكريم، أو لتعريف معانيها؛ لأن الإفهام في معنى المفردة القرآنية، يجب أن يكون إفهاماً حقيقياً مؤثراً ومفيداً.

إن مفردات القرآن الكريم حقائق ثابتة، لأنها لا تنطلق من الفروض كعلوم البشر، والتي يستحيل أن تتحول إلى حقائق إلا إذا اتصلت بأسس

الثبات، فالمفردة القرآنية تمثل الثبات والحركة في نفس الوقت، فهي الثبات وعلم الثبات، وهي الشاملة للوجود كله.

يقول محمد العفيفي: (فالكلمة القرآنية مهما تعددت مواقعها فقد أتت مرة واحدة، والحاجات هي التي تكررت، بدليل أن القرآن، ليس به أي إضافة عددية لكلمة من كلماته، دون حاجة حقيقية يأتي ذكرها مفصلا ومحكماً لا مكان معه لتكرارنا لكلامنا العادي)[٥٣].

إن هناك من يريد القول: بأن وجودنا المادي متصل بمفردات القرآن الكريم وتفصيلها، لأن هذا الوجود خاضع لله سبحانه وتعالى خضوع عبودية، وتفصيل مفردات القرآن الكريم ـ والتي لا تتكرر في نظره ـ خاضع لصلاتنا بعبوديتها، رغم أننا نتعدد ونختلف ونتكرر، لكن الحقيقة واحدة أبداً، وثابتة لا تتغير أبداً.

والخلاصة: بأن كل مفردة من مفردات القرآن الكريم مهيمنة على مفهوم خاص من مفاهيم الكون، ومفاهيم وجودنا في الحياة، سواءً أكانت هذه المفاهيم محسوسة، أم ما وراء الغيب، فإن أي مفردة قرآنية تكون دالة على حقيقة من حقائق تفصيل الوجود، وتوصيله حولنا.

لذلك فحقائق مفردات القرآن الكريم، متعددة بعدد حاجات مخلوقاته، وهي حاجات كثيرة، ومختلفة، تحكمها تلك الحقائق، وتهيمن عليها، لأنها لا تتغير ولا تختلف، ومعنى لا تتغير ولا تختلف، أي (لا تتكرر قاعدة الحقيقة فيها أبداً).

إن التغير والاختلاف يكونان في تفصيل المخلوقات وتوصيلها، لأن مادتها مفصلة في توصيلات متغيرة ومتكاثرة، وخاصة أن سنة الله سبحانه وتعالى في مخلوقاته هي الثبات، في حين أن مخلوقاته في تغير دائم، فتلك المخلوقات ليست حقائق ثابتة مطلقاً.

إن المصطلحات اللغوية لا تعطينا تصوراً دقيقاً لمفهوم ظاهرة المفردة القرآنية، لأن بعضها قد يختلط بظواهر لغوية مشابهة أو مختلفة، لأن الباحثين يجهلون الظروف والملابسات التي تحيط بالتعبير الاصطلاحي السياقي للمفردة القرآنية نفسها.

لذلك فإنه يجب أن تستمد التعبيرات الاصطلاحية معناها من المفردات المكونة لها، ولا تستمد معناها من اتفاق أصحاب اللغة على المصطلح اللغوي الذي تعارفوا عليه بعيداً عن المصطلح السياقي للمفردة القرآنية نفسها.

إن المصطلح اللغوي يتكون عادة من كلمات تكون في محصلتها مبهمة، وبذلك يختلف التعبير الاصطلاحي الذي يخضع لعرفية التعبير المبهم، عن التعبير السياقي الذي يعتمد فهمنا له على المفردات المكونة له، والذي يستمد معناه من العلاقة السياقية أو الإسنادية للمفردة القرآنية نفسها.

خامساً: لفظة (فرد) في القرآن الكريم وما يتعلق بها من موارد:

لقد وردت مفردة (فرد) في القرآن الكريم للدلالة على ما هو ضد التثنية والجمع كذلك، وهو:

قال تعالى: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾(٥٤).

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾(٥٥).

وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥٦).

إن القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه المصطفى ﷺ، بلسان عربي مبين، (قد بلغ الذروة في الفصاحة والبلاغة، فجاءت عباراته أبلغ العبارات وأعذبها وأسلوبه أرقى الأساليب وأروعها. وكذلك فان ألفاظه هي

لبنات هذا الصرح الشامخ، وهي أفصح ألفاظ اللغة العربية وأنصعها)[٥٧].

يقول عبد الغني بركة عن ألفاظ القرآن الكريم: (إن القرآن الكريم لم يبتكر ألفاظاً كانت مجهولة قبله بل الجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد وأمسها رحماً بالمعنى المراد وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به بحيث لا يجد المعنى في لفظة إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين)[٥٨].

فالقرآن الكريم قد قام بعملية تطوير دلالي للكثير من المفردات التي كانت متداولة آنذاك، مع إتيانه بمفردات وتراكيب جديدة لم تكن معهودة مسبقاً.

ولقد درس ابن الاثير (ت ٦٣٧هـ) في كتابه: (المثل السائر) اللفظ (المفرد) دراسة نقدية مهمة أقامها على الذوق، فقال: (إن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات، لأنها مركبة من مخارج الحروف، فما استلذه السمع منها فهو الحسن وما كرهه ونبا عنه فهو قبيح، وإذا ثبت ذلك فلا حاجة إلى ما ذكر من تلك الخصائص والهيئات التي أوردها علماء البيان في كتبهم، لأنه إذا كان اللفظ لذيذاً في السمع كان حسناً وإذا كان حسناً دخلت تلك الخصائص والهيئات في ضمن حسنه)[٥٩].

ويرى أن لكل لفظة المكان اللائق بها، فلفظة (الجوف) يناسبها من المواضع ما لا يناسب لفظ (البطن) ولفظ (الفؤاد) يناسبه من المواضع ما لا يناسب لفظ (القلب)[٦٠].

ويقول: (الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة، ولكل منها موضع يحسن استعماله فيه، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب

وفي قوارع التهديد، والتخويف وأشباه ذلك، فأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد، وفي استجلاب المودات، وملاينات الاستعطاف، وأشباه ذلك)[٦١].

إن المفردات القرآنية هي من قبيل المصطلح الذي لا يختلف في معناه وإن اختلف التعبير عن معناه، وعموماً فإن المفهوم والمصطلح كلاهما مفتاح في النص، وكلاهما يتجاوز الاستعمال اللغوي للفظ ويدلان على معنى قرآني خاص، فاللفظ القرآني قد يتفق على تعريفه ولا ترادفه مفردة أخرى فيكون مصطلحاً، أو لا ينضبط تعريفه وتشاركه مفردات أخرى في معناه فيكون مفهوماً، أو يتردد بينهما.

مراتب فهم الكلمات القرآنية

إن فهم المرتبة لكلمات القرآن الكريم له مستويات، هي[٦٢]:

١ـ مرتبة فهم على مستوى نفس (المفردات)، وهي الأولى.

٢ـ مرتبة فهم على مستوى (المقاطع) أو (الجمل)، وهي الثانية.

٣ـ مرتبة فهم على مستوى (النظريات) أو (المواضيع) القرآنية، وهي ثالث المراتب.

٤ـ مرتبة فهم على مستوى (التأويل) أو (كشف الباطن)، وهي رابع المراتب.

٥ـ مرتبة فهم على مستوى (المزج) أو (الدمج) ما بين النتاجات التفسيرية للمراتب المتقدمة، وهي خامس المراتب.

إلا أن هناك ترتيباً آخر نراه مهماً لمراتب فهم الكلمات القرآنية، هو:

١ـ مرتبة فهم على مستوى (الحروف)، وذلك لأن في القرآن الكريم حروفاً

تحل محل الكلمات والمفردات، تحتاج إلى فهمها، ومن ذلك ـ كمثال واضح ـ الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية.

٢ـ مرتبة فهم على مستوى (المفردة) القرآنية بما هي مفردة، بغض النظر عن محلها ومكانها في الجملة.

٣ـ مرتبة فهم على مستوى (التركيب)، أي التركيب اللغوي للمفردة، في كونها مضافاً ومضافاً إليه (مركب إضافي)، وما شاكل ذلك.

٤ـ مرتبة فهم على مستوى (المقطع) الواحد، وعلاقته بالمقاطع الأخرى.

٥ـ مرتبة فهم على مستوى (الجملة) المفيدة.

٦ـ مرتبة فهم على مستوى (الموضع)، (المكان)، (المحل).

٧ـ مرتبة فهم على مستوى (الظاهر)، وعلى مستوى (الباطن)، للكلمة القرآنية، لكليهما، أو لواحدٍ منهما.

٨ـ مرتبة فهم على مستوى (التفسير) للكلمة القرآنية.

٩ـ مرتبة فهم على مستوى (التأويل) للكلمة القرآنية.

١٠ـ مرتبة فهم على مستوى (التدبر) للكلمة القرآنية.

المفردة القرآنية ما بين (المعنى الأولي) و(المعنى الثانوي)

إن للمصطلح دوراً مهماً في معرفة المفردة القرآنية وما يتعلق بـ(المعنى الأولي) و(المعنى الثانوي) للألفاظ القرآنية، لذا يمكن توضيح ذلك من بيان المراد منهما، وهو:

١ـ المعنى الأولي: ويسمى بالحقيقة، وهو: معنى اللفظ الحقيقي الذي اشتُرك في فهمه، واستعمله الذهن العام. فهو: (اللفظ المستخدم في موضعه الأصلي، وأُقر في الاستعمال على هذا الوضع)[٦٣].

فالمعنى الأول للجملة يراد به: (ربط محتوى الكلمة بالحقائق الخارجية، أي تمثيل وظيفة اللغة في المجتمع)[٦٤].

يتحقق ذلك من اتصال المفردة بسياق الحال (المقام)، أي إن المعنى العام أو الأول للنص لا يفهم ما لم يتحدد فيه: حال المخاطب، وحال المتكلم، وموضوع الكلام.

٢ـ المعنى الثانوي: هو المعنى الاضافي الذي أضيف على معنى سابق له، تختلف دلالته تارة اختلافاً جزئياً، وتارة اختلافاً كلياً.

لقد لاحظ اللغويون بأن معاني المفردات لا تبقى على ثباتها، بل تتبدل دلالتها على مستوى الكلمة المفردة، وعلى مستوى التركيب في الجملة، فاطلقوا عليها (المجاز العقلي).

ففي المعنى الثانوي يكون السياق هو الموجه الأكثر فاعلية للمعاني، وذلك لما يفرضه من معنى أكثر فائدة في الكلام وفي الاستعمال، كما ويتمظهر المعنى الثانوي عند اللغويين في عدة ظهورات أهمها: (التعميم)، و(التخصيص)، و(الانتقال الدلالي).

٣ـ مثال توضيحي: هنا لا بدّ من أن نضرب مثالاً توضيحياً على المعنى الأولي، والمعنى الثانوي، وهو:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[٦٥].

فلو أخذنا لفظة (ضَرَبْتُمْ)، فإن أردنا معرفة معناها الأولي ومعنها الثانوي يتبين لنا:

أ ـ المعنى الأولي: المراد به الضرب، أي فعل الضرب، وقد يتبادر أن المراد به

(ضرب) القدم على الأرض مثلاً.

ب ـ المعنى الثانوي: وهو يعطي معنى مغاير للمعنى الأولي، فالمراد به بحسب مراد الآية ـ المراد ايصاله ـ هو (السفر).

من هنا يتّضح الفرق بين المعنى الأولي، والمعنى الثانوي، ودلالة كل واحد، والمراد من كل واحد، والنتيجة المترتبة على كل واحد منهما.

أهمية المصطلحات

إن المصطلحات تُعد مفاتيح العلوم، ومن أهم (الأدوات المعرفية) وذلك في مجال إيصال المعلومات، لذلك فقد قيل: إن فهم المصطلحات نصف العلم؛ لأن (المصطلح) هو لفظ يعبر عن مفهوم ما، أما (المعرفة) فهي مجموعة من المفاهيم المترابطة والتي تتشكل منها (المنظومة المعرفية) ككل.

لقد وصل الحال في التأكيد على أهمية المصطلح إلى أن الشبكة العالمية للمصطلحات في فينا بالنمسا اتخذت شعاراً لها هو: (لا معرفة بلا مصطلح).

إن المصطلح هو: عبارة عن اختصار، وإجمال لقضية ما، مع عنصر الموافقة، ومراعاة السياقات اللغوية، والوصول للمراد بأدق العبارات، وأقل الكلمات.

نحن نستعمل الألفاظ التي نعبر عنها بـ(المصطلحات) أساساً لتنظيم الأفكار العلمية، وجمع المعلومات، وتنظيمها ضمن كيان مسبوك.

تاريخياً نجد بأن المصطلح ليس شيئاً جديداً، وليس هو مختص بالغرب فقط، أو جاء منهم حصراً، إنما هو شيء موجود في التراث الإسلامي.

فإن كلمتي (مصطلح)، و(اصطلاح) مترادفتان في اللغة العربية، وهما مشتقتان من (اصطلح)، وجذره (صلح) بمعنى (أتفق)، لأن المصطلح، أو الاصطلاح يدل على أتفاق أصحاب تخصص ما على استعماله للتعبير عن لفظٍ محدد.

كما وإن العلم الخاص بالمصطلح هو (علم المصطلح) وهو: (حقل المعرفة الذي يعالج تكوين التصورات، وتسميتها سواء في موضوع حقل خاص، أو في جملة حقول المواضيع)[٦٦].

أو هو: العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية، والألفاظ اللغوية التي تعبر عنها[٦٧].

إن المصطلحات تنتقل من كونها أوصافاً لمفاهيم بسيطة في توظيف المصطلحات إلى سبكها في نسق مركَّب، هو المسمى بـ(القاعدة). لأن المصطلحات أوصاف لمفاهيم بسيطة، فإذا انتقلت الحاجة من العلمية من مستوى البساطة إلى مستوى التركيب والتعقيد؛ عندها يحدث تطوَّر في توظيف المصطلحات، وذلك بسبكها في نسق مركَّب هو المسمى بـ(القاعدة)[٦٨].

ومثال ذلك مورد الإباحة والحظر، إذ على ضوئه تولَّدت القاعدة الأصولية المشهورة: (الضرورات تبيح المحظورات)[٦٩].

جولة في تاريخ نشأة المصطلح

إن للعلوم مفاتيح مهمة، لا بدّ من معرفتها؛ وذلك لفتح المغلق في العلوم، ومن تلك المفاتيح هي المصطلحات، فإن (مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه. وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيق الأقوال)[٧٠].

نعم، فعند رجوعنا لكتب التراث العربي ـ كما نوهنا مسبقاً ـ نجد أن لمفهوم (مصطلح) و(اصطلاح) استعمالاً يَنمُ عن اهتمام بهذه المفردة بشكلٍ خاص.

فنجد أن الجاحظ يقول:(وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف، وقدوة لكل تابع)[٧١].

كما نجد الخوارزمي يقول في وصفه لكتابه مفاتيح العلوم: أنه جعله (جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، مضمناً ما بين كل طبقة من العلماء من الموضوعات والاصطلاحات)[٧٢].

كذلك فإن أبن فارس يقول:(حتى لا يكون شيء منه مصطلحاً عليه)[٧٣].

وبذلك إشارة لقدم الاستعمال من قبل العلماء المسلمين لمفردة (مصطلح) وما لها من أهمية معرفية.

كما ويقول الجرجاني في تعريفه للاصطلاح: هو (عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما)[٧٤].

أما صاحب كتاب كشاف اصطلاحات الفنون فيقول:(فإن لكلٍ اصطلاحاً خاصاً به)[٧٥].

إذن فالمستفاد مما تَقدم وجود (الاصطلاح) و(المصطلح) في التراث العربي الإسلامي، وإن هناك كُتباً قَد أُلِّفَت حوله، وبحثت فيه، وأشارت إليه، كعلم أو معلوم لا غنى للباحث والبحث عنه، وذلك في مختلف العلوم والاختصاصات.

ولهذا الأمر نشأ (عِلم المصطلح) وهو: علم حديث ظهر في القرن العشرين، هدفه مواكبة التطور العلمي والتقني الذي شهده ويشهده العالم،

وتحقيق الفهم الصحيح لكل وافدٍ جديد، وبما يوافق اللغة والفهم السليم، ذلك ان (المصطلح) اصبح عالمي الاستعمال، متجاوزاً حاجز اللغة، عابراً للحدود، والقيود المدرسية.

لقد تم تأليف (المجامع اللغوية) في الوطن العربي من أجل وضع المصطلحات العلمية التي تفتقر إليها اللغة العربية، ودراسة المصطلحات الوافدة والجديدة، وإبداء الرأي فيها (قبولاً أو رفضاً)، وتصنيفها، ووضع أسس التعامل معها، وصناعة البدائل المناسبة.

أما في مجال المعجمات اللغوية ـ تاريخياً وعلمياً ـ فقد كان المسلمون في طليعة الأمم التي كان لها الريادة في صناعة (المعجمات)، ذلك أن لها فوائد كثيرة وكبيرة، أهمها حفظ العلوم والمعارف.

لقد ظهر أول معجم لغوي على يد العبقري في هذا الفن وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو معجمه ذائع الصيت (العين)، والذي يُعد أول معجم لغوي صوتي إسلامي، إن لم يكن على المستوى البشري.

ثم تتابعت صناعة المعجمات المختلفة، ووفق المدارس، كالمدرسة الألفبائية الخاصة لابن دُريد، ثم مدرسة القافية للجوهري، ومائز هذه المعجمات وما شاكلها انها اهتمت بالمواد اللغوية حصراً[٧٦].

أما مع اتساع الفتوحات، وازدهار (الترجمة) ظهر نوع آخر من المؤلفات، وهي التي قامت بجمع وشرح مصطلحات الفنون والعلوم، مُعتمدة على ترتيب حروف المعجم.

نعم، إن كتاب (مفاتيح العلوم) للخوارزمي يعد من أقدم المصنفات التي اهتمت بتعريفات مصطلحات العلوم والفنون، من ثم جاء كتاب

(التعريفات) للجرجاني، ثم (التعريفات) لابن كمال باشا، ثم (التوقيف على مهمات التعاريف) للمناوي (ت١٠٣١هـ)، ثم (الكليات) لأبي البقاء الكفوي، ثم (كشاف اصطلاحات الفنون) للتهانوي.

دور المصطلح المعرفي

إن للمصطلح دوراً معرفياً مهماً، وهذا الدور يتركز في جملة نقاط مهمة لا بدّ من بيانها، هي:

١ـ تُعد مرحلة (الاصطلاح) من مراحل الرقي التي وصلها العقل البشري، إذ تُعد وبحق قفزة علمية نحو تحقيق مبتغى العلوم وغاياتها.

إلا ان هذه الخطوة ورغم أهميتها، لم تَخْلُ من إفراط وتفريط على طول الخط المعرفي لتاريخ (المصطلح)، بسبب عدم الاهتمام بضوابط أو قواعد العلوم، أو بالدقة بضوابط (تقعيد) العلوم.

٢ـ أن للتقعيد أهمية كبيرة في صناعة المصطلح، فبعد جمع الكليات ووضعها ضمن إطار قواعدي خاص، يأتي الدور إلى إطلاق اسمٍ معينٍ عليها، اسم مختصر، يُطلق عليه لفظ (المصطلح).

إلا أن هذا الأمر لم يخل من الخلل والاجتهادات الخاطئة والقياسات، ووقوع الاختلافات، وما شاكل ذلك.

وإلى الخلل الذي وقع في المصطلح يشير ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) بقوله: (إعلم أنه مما أضرَ بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته؛ كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات)[٧٧].

٣ـ لا بدّ من تَحديد الأداة الخاصة، والتي لها التعامل المباشر مع المصطلح، سواءً أفي صناعته، أم في استقباله، أم في نحته، وغير ذلك من سياقات

وتعامـلات علميـة أخـرى.

نعـم، أن الأداة المسؤولة عـن وضـع القوالـب لتلـك المستجدات هـي (اللغـة)؛ كونهـا المسؤولة عـن ذلـك، وهـي ـ كذلـك ـ أشبه بالخلايـا الدفاعيـة التي تستجيب لـكل طـارئ، وبالتـالي إمـا أن تتقبـل وإمـا ترفـض هـذا الطـارئ، وبحسـب مقتضى الحال.

٤ـ إن (علـم المصطلـح) هـو العلـم الـذي يهتـم بالمصطلـح، وبدراسـته، فهـو: (حقـل المعرفـة الـذي يُعالـج تكويـن التصـورات، وتسـميتها سـواء في موضـوع حقـلٍ خـاص، أو في جملـة حقـول المواضيـع)[٧٨].

نعـم، يحتـاج هـذا مـن الباحـث إلى دقـة وصـبر، وامتـلاك (أدوات معرفيـة) مناسبة، إذ ليسـت المعرفـة المجردة كافيـة، ولا النقـل مـن الآخريـن كافيـاً، بـل لا بـدّ مـن معرفـةٍ واعيـةٍ، وامتـلاك أدواتٍ معرفيـةٍ مناسبة، حينهـا يمكـن الانطـلاق إلى فهـم علمـي ومعـرفي (مصطلحـي) يواكـب متطلبـات الحاجـة والزمـان.

أهمية التحقيب المصطلحي

إن أغلـب المصطلحـات قـد مـرت بتـغيرات، وتبـدلات، تـارة زمانيـة، وتـارة مكانيـة، وتـارة علميـة أو معرفيـة، فهـي لـربما قـد نَقُصـت، أو زادت، وتوسـعت، أو تضيقـت، أو تبدلـت، أو نُسـخت.

كلُ ذلـك لا بـدّ مـن أن يؤخـذ بالحسـبان لـدارسي ومسـتعملي المصطلحـات، لكيـلا يقعـوا في الجهالـة واللبس، فـإن تـم ذلـك، حينهـا يمكـن لنـا أن نقـول: بأننـا قـد فَهمنـا (حقيقـة) و(ماهيـة) المصطلـح.

إن مـن المهـم فهـم ومعرفـة مـا مـرّ بـه أيُ مصطلـحٍ مـن تغيـرات أو مـا شـاكلها، وذلـك وفـق رؤيـة تحقيبيـة واضحـة ولـو إجمالاً؛ لتتكـون لدينـا صـورة واضحـة عـن

ذلك، ولكي نفهم ما مرّ به من تغيرات زمانية، وللتعرف على الأسباب التي لعبت دوراً مهماً في وصوله إلى المعنى الحالي (المتداول)، أو (المستعمل)، أو (المشهور).

تتجلى أهمية المصطلح فيما يلعبه من دور مهم في البنى المعرفية، وفي تنظيمها وفق أنساق معلومة، إذ تعد المصطلحات مفاتيح العلوم، و(أداة) مهمة من (الأدوات المعرفية)، والتي من دون معرفتها لا يمكن فهم ماهية وحقيقة المعرفة، بل وتمييز ما يتعلق بالمعرفة من (مصادر) و(أدوات).

إن المصطلحات هي تلك الألفاظ المحددة الدقيقة الدالة على المفاهيم الكلية، وهذا يعكس لنا ما توفره هذه المصطلحات من فهم للعلوم؛ من خلال فهم مفاتيحها، بكلمات مختصرة، وبألفاظ بسيطة، تجمع وراءها منظومة متكاملة من المعارف والعلوم.

فإن واجب المصطلح هو أن يفي بتوصيل الأفكار بدقة وموضوعية، وأن يقينا من سوء الفهم والاضطراب، وأن يمنع عنا اللبس والخلط، ويبعدنا عن الخطأ والزلل.

على أن صناعة المصطلح خاضعة لمنهجية خاصة (في الصياغة)، تحتاج إلى (التثبت) و(الدقة) عند استعماله، مع ملاحظة (أثر الزمان) و(المكان) في نشأتها من جانب، وفي استعمالها من جانبٍ آخر.

لذلك فإن هنا جملة نقاط وملاحظات مهمة لا بدّ من الوقوف عندها، هي[٧٩]:

١ـ إن لكل علم مصطلحاته الخاصة به، ولكل مصطلح موارده ومصادره الخاصة به أيضاً.

٢ـ لا يمكن أن يتحقق الفهم الصحيح لأي مصطلحٍ ما بمجرد تعريفه فقط، أو تفسير ماهيته فقط، أو توضيح المراد منه على وجه العموم فقط.

٣ـ لا بدّ أن نعرف بأن كل مصطلح قد مر بمراحل متعددة، وأدوار مهمة أوصلته إلى ما هو عليه الآن من (التعريف)، و(التسالم)، و(الاستعمال)، بل و(الشهرة) كذلك.

٤ـ إن أغلب المصطلحات قد مرت بتغيرات، وتبدلات زمانية قد أنقصت، أو زادت، ووسعت، أو ضيقت، أو بدلت من حقائقها، كل ذلك لا بدّ أن يؤخذ بالحسبان لدارسي، ومستعملي المصطلحات، كما نوهنا مسبقاً.

٥ـ أن العمل المصطلحي جهد معقد يقوم على وضع الأسس، والآليات المناسبة، لفرز المفاهيم الدقيقة، وتمييزها عن بعضها، وتحديدها، وتنسيقها، ثم تقييدها بألفاظ يُصطلح عليها ما يراد منها.

٦ـ أن العمل المصطلحي جهدٌ يتطلب (التحديد)، و(التدقيق)، إذ يلعب (التاريخ) و(التغير الزماني) دوراً مهماً وفاعلاً فيه.

٧ـ أن عملية تبدل، وتغير (المفاهيم)، و(المصطلحات) بفعل المؤثرات أمرٌ لا بدّ من دراسته دراسة عميقة، ومتأنية، ودقيقة، ومفصلة في نفس الوقت، كما ولا بدّ لأي دارس للمصطلح من أن يفهم ذلك بدقة، وإلا فستلتبس عليه عملية التمظهر التي مر بها المصطلح ـ على سبيل المثال ـ حتى وصل إلى ما هو عليه، والأمثلة على ذلك كثيرة.

لذلك فإن من المهم الدعوة إلى دراسة تحقيبية للمصطلح؛ من قبل المختصين، لتسهيل عمل الباحثين، والمفكرين، وطلاب العلم، كما وعلى كل مهتم بالمصطلح، وما يتعلق به، أن يعلم بأن المصطلح قد مر بفترات تاريخية شكلت حقيقته، وماهيته، والتي نطلق عليها لفظ (الأدوار التحقيبية للمصطلح)، أو (التحقيب المصطلحي)، أو (البحث المصطلحي)، وما شاكل ذلك.

إشكالية المصطلح

لا بدّ من التعرف على ماهية (الإشكالية) من حيث التعريف ومن حيث المراد لتحقيق فهمٍ تامٍ لها، ذلك ان (الإشكالية) هي مصطلح فكري وفلسفي في الأساس، استعاره الفيلسوف الفرنسي (لوي التوسير) من (جاك مارتن) للدلالة (على مجموعة من الافكار التي تختلف فيما بينها، ولكنها تشكل وحدة فكرية أو نظرية تتيح للباحث أن يتناولها باعتبارها قضية مستقلة)[٨٠].

كما وانها (صفة لما هو مشتبه ويُقرر دون دليل كافٍ فيبقى موقع نظر)[٨١].

أو هي (مصطلح اشاعه لوي التوسير، يشير إلى العناصر البانية في مجال إيديولوجي لمواجهة مشكلات وتساؤلات يطرحها الزمن التاريخي على نحو يتكشف عن إطار داخلي لبنية توحد كل العناصر)[٨٢].

وعنها يقول إبراهيم السامرائي من باب التعريف بها: (إن "الإشكالية" مصدرٌ صناعي أقيم على مصدر آخر للفعل "أَشْكَلَ" وهو "إشكال" وهذا المصدر الصناعي جديدٌ في العربية المعاصرة، وقد شقي المعاصرون في الوصول إليه ليكون مؤدياً ما يؤديه مثله في اللغات الأعجمية، وهو غير كلمة "مشكلة"، بل إن في "الإشكالي" شيئاً من "المشكلة". ويراد بها ضربٌ من الوضع فيه إشكال وفيه وضع خاص. وإنك لا تجد هذه "الإشكالية" في العربية التي نعرفها قبل خمسين أو ثلاثين سنة، فهي جديدة)[٨٣].

بعد ذلك نقول: إن كل الاطروحات النقدية تشترك في رميها (للمصطلح الوافد) بسهام الإشكال وما شاكلها، ووجه ذلك يكمن في:

١ـ كون (المصطلح الوافد) قد ينقل بمصطلح عربي يكون مبهم الحد والمفهوم.

٢ـ أو أن ذلك الوافد الاجنبي سينقل بعشرات المصطلحات العربية المترادفة والمتكثرة.

٣ـ أو لربما أن المصطلح العربي الواحد قد يردُ مقابلاً لمفهومين أجنبيين أو أكثر في الوقت عينه.

٤ـ أو أن الناقد العربي الواحد قد يصطنع مصطلحاً فيه كثير من التصرف ـ زيادة او نقصاً ـ لمقابله الأجنبي.

إن المشكلة المصطلحية تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم، خصوصاً مع هجرة المصطلحات من بيئة لغوية إلى بيئة لغوية أخرى مغايرة لها.

نعم، فإن (كثيراً من الوحدات المصطلحية للقاموس النقدي العربي الجديد لا تزال دون مرحلة التجريد والاستقرار، حداً أو مفهوماً على السواء، كما يغيب البعد الاصطلاحي "الاتفاقي" عن هذه الوحدات في تشتت مناهلها بين المرجعيات اللغوية الأجنبية "الفرنسية و الانكليزية بالخصوص"، وفي غياب تنسيق عربي موحد أثناء نقل المصطلح الدخيل، فضلاً على ان بعضاً من تلك المصطلحات لا تزال ـ حتى في مرجعيتها الأولى ـ من قبيل المتشابهات لا المحكمات)[٨٤].

يمكن تشخيص مَعَلمين مهمين يتسببان في وقوع الإشكالية المصطلحية هما:

١ـ الخلل في القراءة الاصطلاحية:

إن (القراءة الاصطلاحية لا تقل اهمية عن غيرها من انواع القراءات الأخرى ان لم تكن تفوق كثيراً منها احياناً، فالقراءة الاصطلاحية هي بطبيعتها قراءة علمية لأنها تعالج مفردات واصطلاحات تنتمي إلى علم معين أو إلى علوم مختلفة)[٨٥].

٢ـ الخلل المناهجي:

أي عدم تطابق المنهج مع المصطلح في مجال القراءة والفهم والاستيعاب والاندماج والتوافق.

ذلك أن المصطلح (يحدد مسار القراءة ويدل على وجهتها، بمعنى ان العلاقة ما بين المنهج في القراءة لا بل القراءة، أياً كان منهجها، والمصطلح وثيقة اللحمة والسدى. من هذه الزاوية يمكن ان نفسر اختلاف المصطلح من قراءة إلى قراءة، ومن هذه الزاوية ايضاً يمكن ان نفهم شيوع مصطلحات ما دون غيرها من المصطلحات في قراءة دون قراءة)[٨٦].

فمن أمارات القصور المنهجي أن نطبق منهجاً باستعمال مصطلحات غيره من المناهج. لأن المصطلح وثيق الصلة بالمنهج ويفقد شرعيته خارج توظيفه.

دور اللغة الواصفة في حل إشكالية المصطلح

تمتلك اللغة ـ أي لغة ـ (وظيفة واصفة) والتي تساعدها في الحديث عن نفسها. ويلجأ إلى هذه الوظيفة من أجل تحقيق عملية الاتصال، وتنظيم وسائل التعبير. أي إنها توظف ـ أحياناً ـ للحديث عن نفسها.

تجسد الوظيفة اللغوية الواصفة ـ في آن واحد ـ مسؤولية كبرى تتحملها اللغة العامة لضبط اللغات المتنوعة، وإعادة لتنظيم وسائل التعبير والاتصال بشكل دقيق. وهكذا فإن اللغة الواصفة تحتوي على خاصيتين تميزانها من غيرها هما:

١ـ كونها الوحيدة التي تستطيع وصف الأنساق السيميائية غير اللغوية.

٢ـ كونها تستعمل كلغة واصفة للأنساق المنطقية الرياضية التي تشكل دعامة العلوم.

إن الكلمات العربية الدالة تلعب دوراً مهماً عند وصفها لكلمات عادية، ولا

تستطيع تشكيل موضوع للوصف، لأنها توظف في الخطاب العربي بطريقة تختلف عن الكلمات الواصفة. فالمنظومة الغربية تُدرج (اللغة الواصفة) ضمن مجال المنطق وفلسفة اللغة، وهي قضايا أثيرت بقوة بعد القرن (١٤ م)، لكنها انسلخت بعد ذلك العهد عن اهتمام الفلاسفة، إذ تمت معالجتها عند هوبز وليبنتز بصورة مختلفة.

نعم، لقد برزت أهمية (اللغة الواصفة) بشكل كبير في نهاية القرن (١٩م)، إذ ظهر هذا المفهوم على المستوى التجريدي، المتصل بنظرية المعرفة في مجال المنطق والرياضيات، إذ يحتل مفهوم (اللغة الواصفة) أهمية كبرى على المستوى المعرفي في الفكر العالمي المعاصر.

لقد قام (تارسكي) بصياغة هذا المفهوم من خلال اللغة البولونية عام (١٩٣١ م)، و(روجه موريس) باللغة الانكليزية بين ثنايا علمه المعروف (تأسيس نظرية العلامات) الذي ذاع صيته عام (١٩٨٣م)، كما يظهر ايضاً بشكل بارز في عمل (كارناب) الذي يحمل عنوان (المعنى والضرورة) والمنشور عام (١٩٤٣م)، وبرز المفهوم ذاته عند (ل . يلمسلاف) في إنجازه الموسوم بـ(المقدمات) عام (١٩٤٣م)، وبرز المفهوم أيضاً باللغة الفرنسية عام (١٩٦٠م).

إن (اللغة الواصفة) تعالج لغة طبيعية تحتوي على النموذج السيميائي نفسه، الذي تحتوي عليه اللغة المنطقية الواصفة، أو اللغة الرياضية المماثلة، ذلك إذا كان هذا النموذج قد تمت صياغته بطريقة محكمة، فتساعد على اشتقاق القضايا من بعضها، مثلما نجد ذلك في النحو التوليدي أو التحويلي، فإنه يعانق من هذا المنظور أيضاً النموذج البنيوي.

تظهر اللغة الواصفة أحياناً كوظيفة للغة طبيعية، وهي تبتعد كثيراً عن النموذج المذكور. فإنها تنتج أنموذجاً للغة طبيعية بصورة غامضة ومشتتة، كما أنها تخلق استعمالاً واصفاً لا يجسد اللغة العلمية عند اللسانيين وبعض المهتمين، لذلك فإن اللغة الواصفة تشكل مثل اللغة الطبيعية موضوعاً مهماً لكنه يستحق الوصف.

إن (اللغة الواصفة) تتعدد بتعدد اللغات، وكذلك النظريات التي تحاول كل واحدة منها التركيز على بعض الأوليات والمصطلحات الأصيلة، القليلة. لذلك لا بدّ من الاعتراف بوجود لغات واصفة متعددة ينظر إليها طوراً حسب تعدد اللغات، وطوراً آخر حسب تعدد النظريات.

تهتم اللغة الواصفة بمجال اللغة الطبيعية واللسانيات غير الشكلية، حيث ظهر ذلك جلياً منذ القرن (١٩م) رغم التطور الكبير الذي حصل في عملية التصنيف والصياغة الصورية المتعلقة بالعلوم التي كانت رائجة حينها، فتعتبر اللغة الواصفة غير الصورية نفسها علمية بالنسبة للغة المنطقية الواصفة، وكذلك بالنسبة للسانيات.

إن تحقق اللغة الطبيعية داخل لغة معينة يفرض تطبيق إجراءات تحليلية مثل التي تستعملها اللغة الواصفة، التي تتحدث عن العالم، وتستطيع اللغة الطبيعية تشكيل قاعدة للمنطق بمعية لغته الواصفة، وكذلك اللغة الواصفة الصورية، وغير الصورية. لذلك فإنه من الضروري دراسة الوظيفة، التي تجعل لغة طبيعية معينة تهتم بنفسها.

ان اشكالية اللغة الواصفة نابعة من واقع يعدُّ مفهوم (اللغة الواصفة) اقتباساً حديثاً، أخذه اللغويون عن مناطقة حلقة (فينا)، خاصة (تارسكي)

و(كارناب) ما بين عامي (١٩٣١م) و(١٩٤٧م). وقد شرح كارناب في كتابه (التركيب المنطقي للغة) فإن نظريته تنبع من الرياضيات عند (هيلبرت)، واللغة المنطقية الواصفة عند (أ.د.جكيوفتش).

فلا بدّ من إدخال (اللغة الواصفة) كمنقذ يستنقذ الكثير من المفاهيم والمصطلحات المعربة، والتي اطاحت بها الترجمة غير العلمية، وبالخصوص أن الكثير من المعربين لم يلتفتوا إلى اصول تلك الكلمات، فخلطوها خلطاً، وساووا بين الأصول اليونانية واللاتينية والانكليزية على حدٍ سواء، كما وساووا بين لغات أخرى مختلفة، وهنا يكمن الخطأ والخلط.

لقد تحددت مهمة المفكر العربي، في أن يطبق أدوات جاهزة، دون أن يمارس حولها حقه المشروع بالسؤال والتحقيق، أو الإسهام في النقد والتحليل خارج تلك الحدود المفروضة. وهذا الخضوع المفرط يتحمل ـ هو ـ مسؤوليته، إذ ليس للغرب أي مسؤولية ـ هنا ـ عنه، وذلك بسبب الخضوع والتبعية الشاملة والمفرطة من قبله، والتي تبدأ من أساس النظرية وصولاً إلى تقنية الممارسة.

في (الميتا) نجد أن اللازم فيها لاتيني، ففسروها بـ(ما بعد) و(ما وراء) مع العلم أن السياقات تختلف. ذلك بأن (الميتافيزيقيا) تحيلنا إلى ارسطو الذي ألف كتاباً حول المنطق بعد الطبيعيات، أي الفيزيقيا، وبذلك يعني ـ مراده ـ ما بعد الطبيعة، وليس ما وراء الطبيعة، والذي ـ قد ـ يعني عالم الروح.

حالياً وحين استعمال (الميتا) فلا بدّ من احالتها على شيء آخر، هو ـ اذا صح التعبير ـ منطق ذلك العلم، أو ان يكون ذلك العلم موضوعاً.

لذا فـ(الميتا) في التوصيل، وفي دقة العبارة أفضل، أي تبقى بلا ترجمة لها، حتى لا يكون هناك خلط بحيث ينصرف (الما وراء) إلى المعاكس عند اطلاق الكلام.

إن الترجمة المحترفة، وبالتالي الدقيقة هي ما تسمى بـ(اللغة الواصفة)، أي: اللغة الواصفة للمعرفة، أو المعرفة الواصفة.

إن الـ(ميتا) حين تدخل على مفهوم ما، فإنها تعني مجمل العلم المعني بإشكالات ذلك المفهوم المعين.

لقد تساءل الأستاذ عبد الملك مرتاض ـ أيضاً ـ عن اشكالية (الميتا) قائلاً: (بما أن "الميتا" تعني في العلوم الإنسانية انضياف شيء إلى شيء آخر لعلاقة معرفية بينهما، فهل نعد اللغة الثانية في حديثها عن اللغة الأولى شيئاً منضافاً، وبالتالي نطلق عليها "ما وراء اللغة" أو "ما بعد اللغة" قياساً مع اللاحقة "ميتا"؟ لأن "الميتا" انضافت إلى علم ما، واللغة الثانية تحدثت عن لغة ما... نصل هنا إلى صلب المعضلة الاستعمالية: فهل نقول للغة الثانية ما وراء اللغة، أو ما بعد اللغة، وهو الاستعمال الجاري؟ وهل اللغة الثانية شيء يقع خارج إطار اللغة الأولى حقاً؟ وما معنى أننا نتحدث عن نقد، أو عن لغة نقد، بنقد على هامشه، أو من حوله فنفصل الثاني عن الأول باستعمالنا مصطلح ما وراء؟ وهل إذا تحدث ناقد محترف، عن ناقد آخر نقدم نحن على عد عمل الثاني منفصلاً عن عمل الأول؟ أم تعني عبارتا: ما وراء وما بعد شيئاً غير ذلكما؟ أم يجب أن نبحث عن إيجاد معادل لهذا التعبير، أو مقابل لذلك المعنى بمصطلح آخر)[٨٧].

يرفض الأستاذ عبد الملك مرتاض ان يطلق على اللغة الثانية (اللغة النقدية) التي تتحدث عن اللغة الأولى (الإبداع الأدبي) مصطلح (ما وراء اللغة)، لأن الأدب والنقد غير منفصلين، بل يكمل أحدهما الآخر. لذلك وبعد أن ترجم المصطلح الغربي عاد إلى التراث العربي، فرأى انه من السذاجة أن نطلق على لغة نقدية جديدة قرأنا بها نوعاً أدبياً (ما وراء اللغة)، فاختار مصطلحات

أخرى من قبيل (اللغة الواصفة)، (كتابة الكتابة)، (اللغة الحاوية)[٨٨].

لقد قابل عبد الملك مرتاض (اللغة الواصفة) بما كان مستعملاً عند العلماء المسلمين، وتوظيفهم مصطلحات من قبيل (زمان الزمان) وما وظفه عبد القاهر الجرجاني في (معنى المعنى) قائلاً: (إن هذه الطريقة لا تختلف عما يلاحظ عن الغربيين في توظيفهم مصطلحات كنقد النقد، ونقد نقد النقد، ويعني المصطلح الأول حديث النقد الثاني عن النقد الأول، والمصطلح الثاني حديث النقد الثالث عن النقد الثاني، وان اللاحقة "ميتا" تفيد التعاقب)[٨٩].

لذلك فإن استعمال (الميتا) وابقاءها بلا ترجمة معادلة يكون أفضل، ويجنبنا الكثير من الإشكالات في مجال الترجمة، وبالتالي في مجال الفهم المعرفي.

فاللُّغة الواصفة؛ أي اللُّغة المتحدِّثة عن نفسها، وهي اللُّغة الشَّارحة، إلاَّ أنَّ هذه اللُّغة الشَّارحة ليست فقط أداة عمليَّة ضروريَّة لخدمة المناطقة واللِّسانيين؛ إنَّما لها مهمَّة بارزة في اللُّغة اليوميَّة. فعندما يتحدَّث شخصان أرادا التَّأكُّد من الاستعمال الجيِّد للرَّامزة نفسها؛ فإنَّ الخطاب سيكون مركَّزاً بشكلٍ أساسيٍّ على الرَّامزة، وبذلك يشغل وظيفة الشَّرح. وعليه تظهر وظيفة تعدِّي اللُّغة في الرِّسائل الَّتي تتمحور حول اللُّغة نفسها، فتتناول بالوصف اللُّغة ذاتها، وتشمل تسمية عناصر منظومة اللُّغة وتعريف المفردات[٩٠].

فاللغة الواصفة يراد بها: اللغة التي تستعمل في تعريف لغة أخرى، أو اللغة المترفعة، أو اللغة الاصطلاحية، أو اللغة الشارحة، أو اللغة المتحدثة عن نفسها.

لا تتوقف (اللغة الواصفة) عند حدود اختيار كلمات من المعجم ورصفها فحسب، بل يؤكد بارت أنه: (إذا لم يكن للكلمات سوى معنى واحد هو المعنى المعجمي، و إذا لم تأتي لغة ثانية لبلبلة وفك رقبة "يقينيات القول" فإنه

لـن يكـون هنـاك أدب، ولهـذا فقواعـد القـراءة ليسـت هـي قواعـد المعنـى الحـرفي، وإنـما قواعـد التلميـح: إنهـا قواعـد لسـانية، لا قواعـد فيلولوجيـة)[٩١].

نعـم، فاللغـة الواصفـة لغـة اصطناعيـة تعمـل على وصـف اللغة الطبيعيـة بحيث تكـون ألفـاظ اللغـة الواصفـة نفسـها مـع ألفـاظ اللغـة الطبيعيـة الخاضعـة للتحليل، لكـن الفـرق بينهـما هـو أن النحـو يلعـب دوراً في تميز هـذه اللغة واختلافهـا عن تلك مـن خـلال كفـاءة وطريقـة كل مسـتعمل للغـة، ومنهـا مثـلاً اللغـة النحويـة، حيـث يسـعى العـالم اللغـوي إلى كشـف كيفيـة اشـتغال اللغـة، ويقصـد اللغـة المعجميـة. فينتهـي إلى القـول: إن كل لغـة لديهـا إمـكان أن تكـون لغـة واصفـة.

تكمـن وظيفـة اللغـة الواصفـة في أنهـا تسـاعد كل مسـتعمل للغـة عـلى الوصـول إلى صياغـة المفهـوم عـن طريـق وصفـه، ذلـك في حـال غيـاب التسـمية الدقيقـة يلجـأ إلى توظيـف مـا هـو موجـود مـن الألفـاظ وإخضاعهـا للمسـة الشـخصية[٩٢].

نعـم، (تسـتعمل اللغـة الواصفـة عمومـاً لوصـف موضـوع محـدد، ولعـل الألسـن الطبيعيـة، تظـل مميـزة عـبر هـذه الخصوصيـة، كونهـا تمثـل موضوعـاً للوصـف، ولغـة واصفـة في الوقـت نفسـه)[٩٣]، تكـون اللغـة الطبيعيـة بمثابـة الموضـوع للغـة الواصفـة، واللغـة الواصفـة بدورهـا شـكل مميـز تتجسـد مـن خلالـه اللغـة الطبيعيـة.

إن مفهـوم (اللغـة الواصفـة) الـذي اسـتحدث، قـد حـاول (يلمسـلاف) أقلمتـه مـع احتياجـات السـيميائية، و(هاريـس) مـع الاحتياجـات اللسـانية، إذ ألـح (هاريـس) بعـد أن أيقـن مـدى أهميـة العنـاصر (الميتـا لسـانية) ومـدى غنائهـا في اللغـات الطبيعيـة عـلى إمـكان وضـع لغـة (مُعطـاة) تصـف نفسـها، كـما يدعـو العـالم اللغـوي إلى بنـاء (نحـو) كلغـة واصفـة وذلـك بالاسـتعانة بـأدوات وإجـراءات

تكمن في اللغة ذاتها، أي (لغة الموضوع).

لقد اكتفى العرب بلفظ (النحو) بديلاً عن (المنطق)، وكلا المصطلحين يعني الاهتداء إلى صحيح الكلام من سقيمه بواسطة العقل.

إن (النحو) بالاصطلاح العربي و(المنطق) والذي يعني (اللوغوس) بالاصطلاح الغربي، هو ما يساهم في تشكيل لغة واصفة، لأن (النحو هو البنية التي تحكم المنطق عموماً وتحكم قواعد لغة معينة... وليس غريباً أن يفطن الفارابي إلى وجه الشبه بين النحو اللغوي والنحو العقلي "المنطق" والنحو الموسيقي العروضي)[٩٤].

إن مفهوم اللغة الواصفة يستمد داله ومدلوله من اللغة، و(الميتا لغة) هي لغة صناعية تستعمل لوصف لغة طبيعية، ألفاظها هي ألفاظ اللغة، ذات صلاحية واحدة، وقواعد تركيبها هي نفس قواعد اللغة المدروسة، وعليه تتحول (الميتا لغة) إلى لغة نحوية يستعملها عالم اللغة لوصف عملية اللغة، وهي المعجمية التي يستعملها مؤلف القواميس والمعجمات لتعريف الألفاظ.

إن السابقة (ميتا) تعني في حقل العلوم الإنسانية؛ الانتماء والاحتواء، وهي كلمة يونانية تعني ما يشمل اللغة. ودلالة معنى (ميتا) هو (above or beyond)، أي فوق الماء، أو أعلى، أو ما وراء، بمعنى التعرف على ما وراء الكلمات.

و(الميتا لغة) كمصطلح اصطنعه الفلاسفة الألمان في مدرسة (فينا)، والأنسب عند بعضهم القول بمصطلح (لغة اللغة)، أو (اللغة الواصفة)، أو (اللغة الجامعة).

أن (اللغة الواصفة) ووفقاً لنظرية (هلبرت) تعني: استعمال اللغة لتقديم أوصاف منطقية (فلسفية) وعلمية في الرياضيات والفلسفة. أي استعمال اللغة

لوصف اللغة، وهذا هو المعنى الثاني الذي يستعمل به المصطلح، والذي يمكن أن نطلق عليه (علم اللغة الواصفة)، أي دراسة اللغة التي تُستعمل في وصف لغة أخرى. أو هو العلم الذي يبحث في اللغة الواصفة.

وطبقاً لـ(تريجر) فإن المصطلح يشير إلى كل ما يتبقى بعد أن يتم تجريد الصيغ والتراكيب والأنظمة الخاصة باللغة، أي علم اللغة الدقيق أو الضيق من المادة الصوتية الخاصة بما قبل اللغة. وبمعنى آخر فإنه فرع من علم اللغة الموسع.

إن (الميتا لغة) هي اللغة العليا للحوار الدقيق، وهي مجموعة من الأساليب اللغوية التي تؤدي إلى تركيز المفهوم وتوضيح المعنى أكثر. وقد تكون عبارة عن أسئلة مختلفة تؤدي إلى توضيح المقصود أكثر فأكثر، بمعنى الوصول إلى البناء العميق للمراد، إذ هي نوع من التناول اللغوي لمعالجة لغوية أخرى.

المفهوم

يلجأ الإنسان فطرياً ـ وفي كل شيء تقريباً ـ إلى عقد المقارنات بين الأشياء التي يتعامل معها، والمواقف التي يمر بها؛ لإيجاد أوجه الشبه والاختلاف بينها، ليستفيد من ذلك في مجال التطبيق في المواقف اللاحقة الجديدة.

إن هذه العمليات اختصرت الكثير من الجزئيات، وهكذا الحال بالنسبة للجنس البشري بشكلٍ عام، فمع كل تقدم يمر به تزداد وتنمو وتتوسع مفاهيمه، حتى وصل الحال إلى اختزال الكثير بالقليل، وذلك بأن يُعبر بكلمة واحدة فقط، والتي يُطلق عليها لفظ (معين) عن أشياء كثيرة.

من هنا تأتي الأهمية الكبيرة والمهمة لتحليل ذلك (اللفظ المعين)، في سبيل الوصول إلى المراد، بعد المرور بشروط تعد أهم شيء في نشأته، وقيامه، وشهرته.

إلى ذلك يشير المختصون بقولهم: (إن تحليل المفاهيم يأخذ أهمية من كونه يوضح لنا الشروط المنطقية التي يجب أن تستوفيها عملية صياغة المفاهيم، أو تعريفها أو اشتقاقها، وطبيعة العلاقة التي تربط المفهوم بالخبرة، أو تربطه بمفاهيم أخرى في النظرية)[٩٥].

كما لا يخفى ما في تحديد معاني الألفاظ المعينة من الفائدة، فلو حددت الألفاظ المعينة والمبحوثة، والتي هي محل جدل، لتجلى الفهم ولقلت هوة الخلاف[٩٦].

المفاهيم وبناء المنظومة المعرفية

إن المنظومة المعرفية مكونة من مجموعة مفاهيم مترابطة، وأي خللٍ بواحدٍ من مفاهيمها سيؤدي إلى الخلل بنفس المنظومة، وبالتالي ستعطي نتائج غير صحيحة، فهي أشبه بالآلة، فحين يتعطل بها جزء ما سيجعلها لا تؤدي وظيفتها الكاملة والصحيحة مطلقاً.

نعم، تتركز وتتحتم الأهمية عندما يكون البحث تاريخياً، فعلينا حينها إتقان فهم تلك المفاهيم التاريخية والتراثية؛ لنبتعد عن الخطأ واللبس، لكي تتحقق الجدوى المعرفية المرادة من البحث العلمي والمعرفي ككل.

لذلك قيل بأن (على الباحث في المفاهيم التاريخية والتراثية بيان أسس هذه المفاهيم وأصولها، ومن ثم تطور استعمالاتها على مر العصور، ليمكنه ان يكشف التحولات الطارئة على تلك المفاهيم التي بنيت عليها أصول العقائد أو أصول القانون وقواعده، إن متابعة أصل الانطلاق ثم التحول والقبول أو الرفض يكشف للباحث مراحل تطور تلك المفاهيم)[٩٧].

من اليقين أن تتأكد هذه الأهمية بما يتعلق بـ(القرآن الكريم) من علوم ومعارف، ومن مفاهيم، ومصطلحات، ومفردات، وبالخصوص في التفسير،

والعملية التفسيرية، لما لذلك من أهمية ودور كبير في بيان النص القرآني.

وتلخيصاً لما تقدم فإن (المفهوم) هو عبارة عن تمثيل فكريّ لشيء ما ـ محسوس أو مجرَّد ـ أو لصنف من الأشياء، تجمعه مع غيره سمات مشتركة، يعبَّر عنها بمصطلح أو رمز[٩٨].

في حين المصطلح هو عبارة عن اختصار وإجمال لقضية ما، مع عنصر الموافقة، ومراعاة السياقات اللغوية، والوصول للمراد بأدق العبارات، وأقل الكلمات.

لذلك يقول الأستاذ إدريس هاني: (إن المصطلحات تجرّ وراءها حكاية مفاهيم تستمد هي الأخرى اقتدارها ونفوذها من البيئة الحضارية المحيطة)[٩٩].

ومما تقدم تتبين علاقة المصطلحات مع المفاهيم، فكلاهما صناعة تقوم بها البيئة الثقافية (العلمية) و(المعرفية) السليمة، مع ملاحظة أن المفهوم أكثر سعة من المصطلح، وأن المصطلح أكثر تضيقاً من المفهوم، وهذا ما وضحه البحث مسبقاً، وأكد عليه، وذلك في جملة النقاط التعريفية، والأخرى التي بينت الفوارق ما بين (المفهوم) و(المصطلح).

ما بين المفهوم والمصطلح

إن الأسئلة العلمية المطروحة ـ هنا ـ هي: هل إن (المصطلح) هو نفس (المفهوم)؟ أم انهما يختلفان اختلافاً تاماً؟ أم هناك تشابه من جانب واختلاف من جانب آخر بينهما؟

إن مما يتبادر إلى أذهان الكثيرين هو أن (المفهوم) و(المصطلح) من المترادفات اللفظية!

لكن الواقع العملي يبين لنا بأن لكلِ واحدٍ منهما شأنه، وما يميزه، وإن اشتراكا في شيء أو أشياء أخرى، فليس كل أشتراك يعني الوحدة أو الترادف،

وليس كل تداخل يوقَفُ عنده؛ إلا في حال الاشتراك فحينها سيكون خاضعاً لقواعد المَشتَرَك من الألفاظ.

ومن البحث في (المفهوم) و(المصطلح)، يمكننا أن نجد فوارق وموائز علمية وجوهرية فيما بينهما، هي[١٠٠]:

١ـ أن المفهوم يركز على الصورة الذهنية. وهو بذلك يكون أسبق من المصطلح.

٢ـ أن المصطلح يركز على الدلالة اللفظية للمفهوم. إذن هو الذي يعطي للمفهوم وجوده وتحققه اللغوي.

٣ـ يُعدُ المفهوم وحدة معرفية بحد ذاتها. أما المصطلح فقد يُعدُ تسمية لهذه الوحدة.

٤ـ أن المفاهيم أعم وأشمل من المصطلحات. أما المصطلحات فما هي إلا اختزالات أو اختصارات للمفاهيم.

٥ـ أن عزل أي مفهوم عن منظومته المعرفية التي يَتبعُ لها، سيؤدي ذلك إلى حدوث انقطاع بينه وبين المصطلح الذي يُعَبِر عنه.

بل سيؤدي ذلك لحدوث تباين بين لفظ المصطلح ومضمونه الحقيقي، وبذلك سيقع اللبس، وعدم الفهم، المؤدي للتأويل الخاطئ.

٦ـ أن المفاهيم لها تأثير كبير في سلوك الأفراد والمجتمعات، فهي التي تصوغ رؤيتهم إلى وجودهم، فإذا لم تكن واضحة أو غير مفهومة، ستضطرب تلك الرؤية، وسيتشتت السلوك الفردي والجماعي على حدٍ سواء.

المفردة القرآنية بين (المفهوم) و(المصطلح)

إن هناك جملة من المفردات القرآنية التي هي من قبيل المصطلح الذي لا يُختلف في معناه، وإن اختلف التعبير عنه، وهناك ما هو من قبيل المفهوم المتوسع في بيانه وتوضيحه، وعموماً فإن (المفهوم) و(المصطلح) كلاهما مفتاحين للنص، وكلاهما يتجاوزان الاستخدام اللغوي للفظ، ويدلان على معنى خاص.

إن اللفظ القرآني قد يتفق على تعريفه، ولا ترادفه مفردة أخرى، فيسمى حينها (مصطلحاً)، أو لا ينضبط تعريفه، وتشاركه مفردات أخرى في معناه، فيكون (مفهوماً)، أو ربما يتردد فيما بينهما.

ومما تقدم يمكن أن نصف استعمالات (المفردة القرآنية) عموماً إلى أربعة أصناف هي[١٠١]:

١ـ تكون المفردة في الصنف الأول (لفظاً لغوياً): وذلك في **الاستعمال اللغوي** للمفردة في السياق القرآني سواء أفي وضعها الأصلي أم المجازي، كالصلاة بمعنى الدعاء.

٢ـ تكون في الصنف الثاني (مصطلحاً قرآنياً): وهي منضبطة الدلالة وحدية التعريف ولا تدل عليها مفردة غيرها، كالصلاة بمعناها الشرعي.

٣ـ تكون في الصنف الثالث (مفهوماً قرآنياً): وهي مفتوحة الدلالة وغير منضبطة التعريف مع إحالتها على معنى مشترك قد تدل عليه مفردات أخرى، كلفظ التقوى.

٤ـ تكون في الصنف الرابع (المفردة القرآنية) المترددة الدلالة في نظر متدبري القرآن بين كونها مفهوماً غير منضبط التعريف أو مصطلحاً حدي التعريف، كلفظ الإيمان.

ضمن هذه الاحتمالات ـ المتقدمة ـ تتوزع المفردات القرآنية، مع وضوح

الوعي بالفرق بينها، ذلك أنه أساسي في منهجية دراستها، والتي يمكن أن تسهم في تصنيفها إلى: ما هو استعمال لغوي، وما هو مفهوم، وما هو مصطلح، وبالتالي اكتشاف معاني النص القرآني؛ من خلال كلماته المفتاحية التي تجلي بنيته المتكاملة وتناسقه المعجز.

هنا جملة أسئلة هي: إذا كان المجال المعرفي يحفل بوجود (المفاهيم) و(المصطلحات) فهل أن القرآن الكريم، ومع كونه كتاباً سماوياً يحتوي على (مفاهيم) و(مصطلحات)؟ أم انه لا يحتوي على ذلك؟ وهل أن له (مفاهيمه) و(مصطلحاته)الخاصة به أم لا؟

إن هناك (مفاهيم) و(مصطلحات) قرآنية خاصة بالقرآن الكريم، مع عدم الخلو من وجود ما هو أوسع من ذلك.

وهنا لا بدّ من ان نُعرف كلَ واحدٍ منها، (المفاهيم) و(المصطلحات) القرآنية، وما المراد بها؟ وما الذي نستفيده منها معرفياً وتشريعياً وتفسيرياً؟ بل الاطلاع على كل أنواع الاستفادة منها، مع ضرورة التعرف على المؤثرات بالمفردة القرآنية.

إن هناك مؤثرين أساسيين على المفردة القرآنية، أو الكلمة القرآنية، هما:

١ـ الحركات الإعرابية:

إذ قد تكون مادة الكلمة واحدة ومتكررة، إلا أن الهيئة (الحركات الإعرابية) متغيرة، وهذا سيؤثر في لفظ الكلمة من جانب، وفي معناها من جانب آخر.

٢ـ السياق:

إن للسياق دوراً مهماً في بيان المراد من المفردة القرآنية، فهي قد تعطي معنى معين في سياق، وتعطي غيره في سياقٍ آخر.

إن المصطلح القرآني هو مفردة من مفردات القرآن الكريم، تتشارك مع مثلها في تركيب الآية القرآنية وتكوينها، وتسهم في توجيه السياق الخاص بالآية، وهي تختلف أو تتميز بقوة موقعها في الآية، وبالدور الذي تلعبه في الإيحاء والإبلاغ[١٠٢].

بذلك يتوضح ما للمفردة القرآنية من أهمية كبيرة في الانطلاق نحو فهم النص القرآني، ذلك أنه ـ النص القرآني ـ مكون من مفردات، منها ما هو مفهوم، ومنها ما هو مصطلح، وان عرفناهما وحددناهما وفهمناهما فقد توصلنا إلى مفاتيح النص القرآني.

المفهوم والمصطلح القرآني : التعريف والغاية

إن من المهم التعريف وبدقة بالمراد من المفهوم القرآني من جانب، والمصطلح القرآني من جانب آخر.

أولاً: المفهوم القرآني:

إن المفهوم القرآني هو: (تمثل ذهني لمعنى كلي قرآني مركب من معانٍ جزئية هي بمثابة خصائص وسمات المفهوم)[١٠٣].

فالمفهوم القرآني هو تصور أو تمثل ذهني لمعنى قرآني كلي، ساعدت المعاني الجزئية الخارجية في بنائه؛ بما لها من خصائص وسمات، وبالتالي شكلت الطريق نحو بناء ذلك المفهوم.

فإن المفهوم القرآني أوسع من المصطلح القرآني، ذلك أنه وفي أصل وضع المفهوم ـ بما هو مفهوم ـ كان يتسم بـ(السعة) و(الشمول) و(الإحاطة) بالمفردة من كل جوانبها.

ثانياً: المصطلح القرآني:

إن المصطلح القرآني هو: (ذلك اللفظ الذي أكسبه استعماله في القرآن الكريم دلالة خاصة زائدة على الدلالة التي له في اللسان العربي، فصار بذلك له مفهوم خاص ضمن الرواية القرآنية الشاملة، وصار بذلك التعبير عن ذلك المفهوم مصطلحاً من المصطلحات القرآنية)[١٠٤].

إن من المهم فهم المصطلح القرآني ومعرفته من جانب، ومعرفة استعمالاته من جانب آخر، لأهمية ذلك في التفسير وفي العملية التفسيرية.

إن المصطلح القرآني يُبحثُ على نحوين:

الأول: التعامل مع المصطلحات التي كانت موجودة قبل نزول القرآن، إلا أن القرآن الكريم قد وظفها في معنى جديد.

الثاني: التعامل مع المصطلحات الجديدة التي جاء بها القرآن الكريم، والتي لم تكن معروفة أو متداولة عند أحدٍ قبل ذلك مطلقاً.

وعلى كلا الأمرين فلا بدّ من إعطاء المصطلح القرآني مزيد عناية، إذ أنّه بذلك يمكن التقارب مع الآخرين، بدلاً من التباعد عنهم، فالقرآن الكريم حمال ذو وجوه.

مصطلحات القرآن الكريم وألفاظه ودلالاتها : (التطور الدلالي)

من المهم البحث عن ألفاظ القرآن الكريم على مستوى (المفردة)؛ لما لذلك من أهمية في معرفة خصوصيات كل مفردة، وتاريخ كل مفردة، وميزات كل مفردة، وقابليات كل مفردة أيضاً.

أولاً: تقسيمات المصطلح القرآني:

إن أبرز تقسيمين لأنواع المصطلح القرآني هما[١٠٥]:

١ـ التقسيم الفني:

ويتم وفقاً للأدوات اللغوية التي تشكل المصطلح أي التقسيم بملحظ (الأدوات التعبيرية).

٢ـ التقسيم الموضوعي:

ويتم وفقاً لدلالة المصطلح على معانيه (المضمون الفكري للمصطلح).

لقد بين القرآن الكريم كثيراً من اصطلاحات علوم القرآن، وذلك لأن اصطلاح علوم القرآن لا بدّ من أن يؤخذ من القرآن والنصوص الشرعية وليس من خارجها، ذلك أن كثيراً من اصطلاحات علوم القرآن من قبيل الحقيقة الشرعية.

ويراد بالحقيقة الشرعية: (اللفظ الذي كان وضعه بيد الشارع، وثابتاً من قبله. فإذا ثبت ان الشارع وضع لفظاً لمعنى كلفظ الصلاة للهيئة المعهودة، والصوم للامساك المعلوم، والزكاة للصدقة المعروفة، إما بتنصيصه بأن وضعت هذه الألفاظ لهذه المعاني، أو باستعماله لها في تلك المعاني مجازاً، ثم صيرورتها حقيقة بكثرة الاستعمال)[١٠٦].

ثانياً: التطور الدلالي:

إن البحث عن المصطلحات والألفاظ القرآنية يعطينا نتيجة مفادها: أن المصطلحات والألفاظ القرآنية ـ في مجال التطور الدلالي ـ تقسم إلى أربعة أقسام، هي:

١ـ مصطلحات وألفاظ وافقت اللغة العربية (استقرت دلالاتها):

مثل: (العبودية، الكعبة).

٢ـ مصطلحات وألفاظ جديدة جاء بها القرآن الكريم:

مثل: (الجاهلية، جهنم، الحواريون، الترتيل، الرهبانية، الزكاة، السحت، الطامة، التغابن، الفرقان، الفسوق، القصاص، الكفارة، النفاق).

٣. مصطلحات وألفاظ أضفى عليها القرآن الكريم دلالات جديدة (انتقلت دلالاتها):

مثل: (الأمة، التيمم، التبتل، الجحيم، الحج، الأحزاب، الحاقة، الحلف والقسم، الركوع، السجود، السبت، الأسباط، الصابئون، الصّاخة، الصلاة، الصيام، الأعراف، العقاب والعذاب، الغيث والمطر، الفؤاد والقلب، الفلاح والفوز، القرآن والكتاب، القارعة، يلحدون، النصر والفتح، التهجد، الميزان).

٤. مصطلحات وألفاظ توسع مفهومها قرآنياً:

مثل: (الصلاة، العبادة، الكفر، الفسق).

٥. مصطلحات وألفاظ تضيق مفهومها قرآنياً:

مثل: (الرسول، النسيء، النكاح، البنوة، المحراب).

٦. الإضافات على مستوى التراكيب:

أ. تراكيب جديدة صنعها القرآن الكريم:

مثل: (استوى على العرش، أصحاب الكهف، أم الكتاب، حبطت أعمالهم، ذات الصدور، سقط في أيديهم، عليهم دائرة السوء، في سبيل الله، قضى نحبه، كان مزاجها كافوراً، لباس التقوى، ليلة القدر، المؤلفة قلوبهم، ما ملكت أيمانكم، وأخفض لهما جناح الذل، واعتصموا بحبل الله، والتفت الساق بالساق، يستحيون نساءكم، العروة الوثقى).

ب. تراكيب أضفى عليها القرآن الكريم دلالات جديدة:

مثل: (ألم نشرح لك صدرك، بشق الأنفس، ختامه مسك، الدار الآخرة،

الـصراط المسـتقيم، غـير أولي الإربـة، فقطـع دابـر القـوم، في لـوح محفـوظ، لا تعضلوهـن، مـدّ الأرض، النفاثـات في العقـد، وكل إنسـان ألزمنـاه طائـره في عنقه).

عوامل التطور الدلالي

إن هنـاك عوامـل مهمـة تسببت بالتطـور الـدلالي للمفـردات، والكلـمات، والمصطلحـات، والمفاهيـم، عمومـاً، وهـذا يؤثر في فهـم معانيها، ومن تلك العوامل:

١ـ عوامـل تتعلـق باسـتعمال الكلـمات، فمدلـول الكلمـة يتغـير تبعـاً للحـالات التـي يكثـر فيهـا اسـتعمالها، فيقتـصر اسـتعماله عـلى الحـالات التـي شـاع فيهـا.

٢ـ عوامـل تتعلـق بالانتقـال مـن المعنـى الحقيقـي إلى المعنـى المجـازي، فيـؤدي إلى تغـير في معـاني المفـردات، قـد يـؤدي إلى انقـراض المعنـى الحقيقـي، وحلـول المعنـى المجـازي محلـه.

٣ـ عوامـل تتعلـق بوضـوح الكلمـة في الذهـن، إذ كلـما كان مدلـول الكلمـة واضحـاً في الأذهـان قـل تعرضـه للتغـير، وكلـما كان مبهـماً غامضـاً كثـر تقلبـه وضعفـت مقاومتـه.

٤ـ عوامـل تتعلـق بالتطـور الصـوتي، فـإن ثبـات صـوت الكلمـة يسـاعد عـلى ثبـات معناهـا، وتغيرهـا يذلـل السـبيل إلى ذلـك التغـير.

٥ـ عوامـل تتعلـق بقواعـد اللغـة، فتعمـل عـلى تغيـير مدلـول الكلمـة، وتسـاعد عـلى توجيههـا وجهـة خاصـة.

٦ـ عوامـل تتعلـق ببعـض المفـردات، فقـد يتغـير معنـى بعـض المفـردات عنـد انتقـال اللغـة مـن السـلف إلى الخلـف.

٧ـ عوامـل تتعلـق بالعـادات والقيـم المتغـيرة، إذ تعمـل مـن جيـل إلى جيـل عـلى تغيـير بعـض الـدلالات.

٨ـ عوامل تتعلق بمدلول الكلمة، وذلك عند انتقالها من لهجة إلى أخرى، أو من لغة إلى لغة أخرى.

٩ـ عوامل تتعلق بسوء الفهم، إذ قد يعمل سوء الفهم ـ عموماً ـ على تغيير مدلول الكلمة، خاصة في الأجيال الناشئة، إذ قد يسيء طفل فهم معنى الكلمة، وهكذا.

١٠ـ عوامل تتعلق بتغير طبيعة الشيء، أو عناصره، أو وظائفه، أو شؤونه، فيتغير معها ذلك، كالريشة، والسيارة، والبريد.

١١ـ عوامل تتعلق باختلاف الطبقات والجماعات، إذ كثيراً ما ينجم عن اختلاف الناس في طبقاتهم وفئاتهم اختلاف مدلول الكلمات، وخروجها عن معانيها الأولى.

مظاهر ونتائج التطور الدلالي واللغوي

أولاً: مظاهر التطور الدلالي:

إن هناك أنواعاً من تطور الدلالة تجسد في جملة مظاهر، هي:

١ـ تضييق الدلالة أو تخصيصها.

٢ـ توسيع دلالة اللفظة.

٣ـ نقل دلالة اللفظة إلى شيء يقارب دلالتها الأصلية مكاناً أو زماناً.

٤ـ تغيير مجال الاستعمال عن طريق المجاز.

٥ـ نقل المعنى من كلٍّ إلى جزءٍ أو العكس.

٦ـ نقل المعنى من الأقوى إلى الأضعف.

٧ـ نقل المعنى من الأضعف إلى الأقوى.

٨ـ انحدار الدلالة، أي نقل المعنى من الأفضل إلى الأدنى.

٩ـ تسامي الدلالة، أي نقل المعنى من الأدنى إلى الأفضل.

ثانياً: نتائج التطور اللغوي:

إن هناك نتائج واضحة جلية يشترك فيها كل من التطور الصوتي والدلالي، هي:

١ـ الترادف: وهو أن يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو: السيف، المهند، الحسام.

أما حالياً فإن المترادفات هن ألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل بينها، في أي سياق، محصلة ذلك بأن الترادف هو أحد صور التطور اللغوي.

٢ـ المشترك اللفظي: وهو تسمية الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: عين الماء، عين المال، عين السحاب.

٣ـ التضاد: وهو أن يطلق اللفظ الواحد على المعنى وضده، وقد وقع الاختلاف في وقوعه من عدمه.

٤ـ الاشتقاق: وهي محاولة لتفسير العلاقة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها، ومن عوامله: محاكاة أصوات الطبيعة، ربط العلاقة ما بين الأصوات ودلالاتها.

٥ـ الدخيل: أو المُعرب أو المُولد، بسبب اختلاط الألسن، واختلاط الأنساب، والتوسع، والانتشار.

أدوات فهم النص

إن للنص وجوداً خارجياً عينياً، وهو واقع قائم بحد ذاته، فكان وجوده لسبب أوجده، وغايته أخرجته، لذلك فإن من يريد فهم النص عموماً، والنص القرآني خصوصاً، لا بدّ من أن يعتمد على أدوات مهمة تحقق الفهم، هي:

١ـ معرفة معاني المفردات:

فإننا إذا أردنا نفتح صفحات القرآن الكريم، ونقرأ تلك الكلمات المباركة الموجودة، فإن الأمر الأول الذي يأتي للتعامل مع النص القرآني هو: معرفة معاني مفرداته.

نعم، فإن من جملة الأمور التي تشكل مقدمة لفهم المفردات (للتفسير) هي معرفة علم الصرف والاشتقاق، ومعرفة الجذر اللغوي للمفردات، والقضايا الإعرابية، والبلاغية، وكل ما يتعلق بمعرفة المشترك اللفظي، والمشترك المعنوي، والمصطلحات القرآنية، وخصوصيات اللفظ القرآني.

٢ـ معرفة المدلول العام والخاص للنص:

فإن للنص مدلولاً عاماً، وآخر خاصاً، فلا بدّ أولاً من معرفتهما، ثم التمييز بينهما، فإن المدلول العام يختلف عن المدلول الخاص، في جزئيات معينة، أو نقاط مركزية، أو فوارق أساسية.

٣ـ الاستعانة بالقرائن الداخلية والخارجية للنص:

أولاً: إن من القرائن الداخلية: (سياق الكلام والنسق)، و(تلاؤم المضمون والمعنى)، و(المحكمات والأصول البينة)، و(تحديد دائرة المعنى).

ثانياً: إن من القرائن الخارجية: (بيئة النزول)، و(السنة المأثورة عن المعصوم)، (القرائن العقلية).

غريب القرآن الكريم : ماهيته، وحقيقته، والمراد به

لقد كثرت التصانيف قديماً وحديثاً حول العلوم القرآنية، وتنوعت بتنوع الموضوعات المبحوثة، فمنها ما اهتم بالتفسير، ومنها ما اهتم بالإعراب، ومنها ما تناول الناسخ والمنسوخ، ومنها ما تحدث عن الوقف والابتداء،

ومنها ما بحث وجوه الإعجاز، ومنها ما شرح اللفظ الغريب.

إن الكلام عن غريب القرآن مهم جداً بوجهه العام، ومهم جداً عند تفسير آيات القرآن الكريم، ذلك أن في القرآن الكريم ألفاظاً قد تصعب على أفهامنا، تسبب بتلك الصعوبة أمور متعددة كاللحن، واختلاط الألسن، والابتعاد عن زمان نزول النص، وغير ذلك من أسباب أوردتها الكتب المختصة.

إن المراد بتوضيح غريب القرآن هو: شرح وتفسير تلك الألفاظ، وليس استقراءها، ومعرفة ما في القرآن الكريم من ألفاظ غريبة من حيث العدد أو غير ذلك من أسباب.

إن الكلام عن أدوات تحليل النص القرآني، يقودنا للكلام عن أداة تحليل غريب القرآن الكريم وتفسيره ، فإن من أهم الملاحظات في أداة تحليل وتفسير غريب القرآن الكريم ان هذه الأداة مع اهميتها الكبيرة جداً ليست مستقلة عن الأدوات الأخرى، بل نجدها مندمجة مع أدوات تحليل أخرى، ولربما نجدها مندمجة مع جميع أدوات التحليل اللغوي، فنجد على سبيل المثال ان أداة تحليل غريب القرآن مندمجة مع آلية التحليل النحوي، ونجدها متحدة مع أداة التحليل الصرفي، وكذلك نجدها متحدة مع أداة التحليل الصوتي، وكذلك الحال مع أدوات تحليل أخرى.

إن دراسة غريب القرآن واسعة جداً تحتاج إلى كتاب، ولربما إلى أكثر من ذلك من أجل الاحاطة بكل ما يتعلق بغريب القرآن من حيث التعريف والأسس والموضوعات والدراسات وما شاكل ذلك.

لقد حاولنا قدر المستطاع توضيح صورة معينة عن غريب القرآن، إذ لا ندعي الإحاطة به.

قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾(١٠٧).

الغريب لغة واصطلاحاً

من المهم الوقوف على تعريف الغريب في اللغة والاصطلاح، وهذا ما سيشكل مدخلاً مهماً لفهم الغريب عموماً، وغريب القرآن الكريم بشكلٍ خاص.

الغريب لغةً:

الغريب: صفة مشبهة من الغرابة، تقول: غَرُبَت هذه الكلمة، فهي تغربُ غرابة، وصاحبها مُغربٌ، وفلانٌ يُغربُ في كلامه، والإغراب هو: الإتيان بالغريب، وغَرَبَ: غاب وبَعُدَ وغمض وخفي، وغربت الشمس وتغرب غروباً: إذا بعدت وتوارت. وكلام غريب: بعيدٌ عن الفهم، وأغرَب في الكلام: إذا جاء بغرائب ونوادر، وغربت هذه الكلمة: أي غمضت وخفيت[١٠٨].

والغُربَةُ: الاغتراب. تقول: تَغَرَّب، واغترب بمعنىً فهو: غريب، والغُرباء أيضاً الأباعد، واغترب فلان اذا تزوج إلى غير أقاربه[١٠٩].

وفي أساس البلاغة: تكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وتقول: فلان يعرب كلامه ويغرب فيه، وفي كلامه غرابة، وغرب كلامه، وقد غربت هذه الكلمة، أي: غمضت فهي غريبة[١١٠].

إن ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) قد قسم الألفاظ المفردة إلى قسمين[١١١]:

الأول: العام: وهو ما يشترك في معرفته جمهور أهل اللسان العربي، مما يدور بينهم في الخطاب، فهم في معرفته سواء، أو قريب من السواء، تناقلوه فيما بينهم وتداولوه، وتلقفوه من حال الصغر لضرورة التفاهم وتعلموه.

الثاني: الخاص: وهو ما ورد فيه من الألفاظ اللغوية، والكلمات الغريبة الوحشية، التي لا يعرفها إلا من عُني بها، وحافظ عليها، واستخرجها من مظانها.

الغريب اصطلاحاً:

إن الغريب في الاصطلاح هو الكلام الغامض البعيد عن الفهم، كالغريب من الناس، وهو على وجهين:

الوجه الأول: أن يراد به بعيد المعنى، أو غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر.

والوجه الثاني: أن يراد به كلام بعدت به الدار، ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها[١١٢]. وهذا الوجه الأخير هو ما يعرف بالغرابة.

ومن ذلك يتضح أن غرابة الكلمة تعود عند اللغويين القدماء إلى سببين هما: (بعدها، وغموضها)[١١٣].

قال أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) في معرض حديثه عن باب الفرق بين النحو واللغة والإعراب والغريب: (وأما الغريب فهو ما قل استماعه من اللغة، ولم يَدُر في أفواه العامة، كما دار في أفواه الخاصة، كقولهم: صكمت الرجل: أي لكمته، وقولهم للشمس: يوح، وقولهم رجل ضروري: للكيس... وهذا كثير جداً، وهذا وما أشبهه، وإن كان غريباً عند قوم فهو معروف عند العلماء، وليس كل العرب يعرفون اللغة كلها، غريبها وواضحها، ومستعملها وشاذها، بل هم في ذلك طبقات يتفاضلون فيها...)[١١٤].

ولقد استعمل العرب عدة ألفاظ مرادفة للغريب كالوَحْش والحُوش والشاذ والنادر والشارد وما إلى ذلك[١١٥].

ولقد عُرف غريب القرآن الكريم بعدة تعريفات منها:

١ـ العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن وتوضيح معناها بما جاء في لغة العرب وكلامهم، فهو مبحث لغوي متخصص أو هو الجانب

اللغوي من تفسير القرآن(١١٦).

٢ـ تفسير كلمات القرآن البعيدة عن الفهم، بما جاء في المأثور وفي لغة العرب(١١٧).

٣ـ الألفاظ التي يُبهم معناها على القارئ والمفسر، وتحتاج إلى توضيح معانيها، وذلك وفق ما جاء في لغة العرب وكلامهم(١١٨).

٤ـ هو اللفظ الذي لم تتضح دلالته على المعنى بشكلٍ ظاهر، وهو اللفظ الذي يحتاج معرفة واسعة لدلالته وفهم معناه(١١٩).

إن الغريب ليس هو قريب المعنى، وليس هو سهل المأخذ، ولكنه بعيد لا يصل إليه إلا من غاص في معناه. على أنه لا يغيب عن الأذهان أن الغريب في القرآن ليس معناه التعقيد في فهم المعنى أو الإتيان بالألفاظ الغامضة فإن القرآن الكريم مبرأ من هذا، فهو لم يضم في نسيج كلماته إلا ما هو معروف، وإن عزت معرفة بعض كلماته على بعض الناس فليس هذا دليلاً على أنه يحوي الغريب الذي لا يُفهم، والعيبُ عيبُ من لم يُحط باللغة ولم يستوعب كلام العرب؛ لأن القرآن الكريم هو قرآن مبين نزل بلسان عربي، ونحن لا ننكر أن هناك كلمات في اللغة وسمت بالفصاحة واتصفت بالغرابة في قوة جرسها، وصليل ألفاظها، وتناسق حروفها، فهذه الكلمات غير غريبة عند أرباب الفصاحة والبيان، ولكنها غريبة عند من لم يعاشر الأعراب، ويستمع إلى كلامهم ويتبين مواقع ألفاظهم(١٢٠).

يقول أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) عن ألفاظ القرآن الكريم: إن ألفاظ القرآن على قسمين(١٢١): قسمٌ: يكاد يشترك فيه عامة المستعربة وخاصتهم، كمدلول السماء، والأرض، وفوق، وتحت.

وقسمٌ: يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي

صنف أكثر الناس فيه، وسموه: (غريب القرآن).

غريب القرآن الكريم

أولاً: الماهية والمراد:

إن الغريب في ألفاظ القرآن الكريم لا يقصد به الوحشي المخل بفصاحته، وذلك لتنزه القرآن الكريم عن ذلك، فهو أفصح كتاب وأسمى بيان.

ولا خلاف بين العلماء والمفسرين بأنه ليس في القرآن الكريم كلام مركب على غير أساليب العرب، وإنما وقع الاختلاف في الألفاظ الموجودة فيه المنقولة عند ذكر الأسماء وغيرها لأنبياء وأشخاص من غير العرب، أو ذكر صفات أو أشياء بصفاتها عند غير العرب.

إن موضوع غريب القرآن الكريم هو: الكلمات التي تحتاج إلى بيان وتوضيح في القرآن الكريم، والتي تسمى عند بعضهم بـ(الغريبة)، والتي تحتاج إلى توضيح.

ثم إن معرفة هذا العلم أمر ضروري للمفسر لا بدّ منه، وإلا فلا يسوغ له الإقدام على تفسير كتاب الله تعالى.

إن ألفاظ القرآن الكريم: هي لب كلام العرب، وزبدته، وكرائمه، وعليها اعتماد العلماء، والفقهاء، والحُكام، وإليها مفزع حذاق الشعر والبلغاء[١٢٢].

لذا فقد قيل بأن علم غريب القرآن جزء من علم التفسير؛ لأن التفسير يقوم على عدد من المعلومات منها علم غريب القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم السنة... إلخ.

وليس كل مَن عَلم غريب القرآن استطاع أن يفهم معاني القرآن كلها، وإن كان كثيرٌ منها يُعلم بمعرفة تفسير مفرداته، التي يطلق عليها العلماء مفهوم (غريب القرآن).

ولم تكن هذه التسمية (غريب القرآن) لهذا العلم هي الوحيدة في أول الأمر بل كان يسمى: معاني القرآن، إعراب القرآن، مجاز القرآن.

من غير الخفي على أحد بأن أول ما يحتاج إليه المتعلم للقرآن الكريم هو فهم معاني الكلمات التي يستغربها، ويعرف أصولها العربية، وكيف اختار المفسرون وعلماء اللغة المعنى المختار، وإلا فإن الجهل بالجزء سيؤدي إلى الجهل بالكل، ورب كلمة لا يُعرف معناها تؤدي إلى عدم فهم آية من آيات القرآن الكريم، ولربما يؤدي إلى فهمها خطأً أو مقلوباً.

ثانياً: الظهور والنشأة:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على رسوله الأمين ﷺ بلسان عربي مبين.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١٢٣).

وقد نزل القرآن في عصر ازدهرت فيه اللغة العربية، ولم يكن قد داخل الألسنة شيء ممّا داخلها بعد ذلك حين اختلط العرب بغيرهم من أبناء البلاد التي اعتنقت الإسلام، ولكنهم لم يكونوا سواء في الفهم، كما أنهم لم يكونوا سواء في قربهم من الرسول ﷺ أو بعدهم عنه، لذلك كانوا إذا ما أشكل عليهم أمر سألوا الرسول ﷺ فأزال الإشكال ووضّح وبيّن المراد.

إن قصة عدي بن حاتم ذائعة مشهورة في ذلك، إذ قال: (قلت يا رسول الله: ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ أهما الخيطان؟ قال: إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين، ثم قال: بل هو سواد الليل وبياض النهار)(١٢٤).

ثم توالت السنون واختلط العرب بغيرهم من الأمم نتيجة الفتوحات، وامتزجت الألسن فبدأت العجمة تتسرب إلى اللسان العربي، وكانت الحاجة إلى تفسير ألفاظ القرآن تزداد إلحاحا كلّما ابتعد العرب عن عهد الرسول ﷺ.

وأطل القرن الثاني للهجرة فنشطت الحركة العلمية أيما نشاط فتنوعت المعارف ونشأت علوم كثيرة دارت حول القرآن الكريم منها: علم نقط القرآن وشكله، علم الوقف والابتداء، علم الغريب، علم لغات القرآن، علم أحكام القرآن، علم الناسخ والمنسوخ. وهكذا فقد استقل علم الغريب وألف فيه الكثير من الأئمة والعلماء، وكثرت التصنيفات فيه وذلك لأهميته فهم ما يتعلق به وضرورته.

ولقد ألفت في العربية عدة مصنفات لتوضيح الغريب من الألفاظ الواردة في كتاب الله العزيز، وهو ما يستغلق فهمه على القارئ أو السامع، ويختلف كمّه وفق ثقافة الشخص بالعربية ومدى إلمامه بدلالة ألفاظها.

وأول ما وصلنا من مصنفات في هذا المجال رسالة لابن عباس عن طريق الرواية بالمشافهة؛ لأن عهده لم يكن عهد تدوين. ثم تتابعت الكتب المؤلفة في هذا الموضوع حتى عصرنا هذا الذي نعيش فيه، ففي تراثنا زاد وفير وكم هائل من هذه الكتب.

لعل أول محاولة عند العرب في البحث عن الغريب كانت من عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) في جوابات أسئلة نافع بن الأزرق، حيث سأله عن معنى أكثر من مائتي كلمة من غريب القرآن الكريم، فأبانها له وشرحها ابن عباس، مستدلاً ومستعيناً على ذلك بأدلة وشواهد من الشعر وغيره مما تعارف عند العرب.

فمثلاً: قال ابن عباس: ما كنت أدري ما قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾[١٢٥]، حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول: أفاتحك يعني أقاضيك[١٢٦].

ويمكن القول بأنه لم يتأخر التصنيف في غريب القرآن عن النصف الأول من القرن الثاني الذي يعزى إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ويرجح أن يكون العلماء قد دونوا فيه رواياته في تفسير القرآن بعد وفاته.

وأول كتاب ألف بعد ذلك في غريب القرآن، هو كتاب أبي سعيد، أبان بن تغلب بن رباح البكري، ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا، ومن ثم فنحن لا نعرف شيئاً عن منهجه. أما الكتاب الذي وصل إلينا من القرن الثالث فهو (غريب القرآن) لابن قتيبة، وهو يفسر ألفاظ القرآن في سورها، كذلك وصل إلينا من القرن الرابع كتاب (نزهة القلوب) لمحمد بن عزيز السجستاني، وفيه شرح الألفاظ الغريبة، وهو مرتّب على الحروف الأبجدية.

إن اللغة العربيّة، كغيرها من اللغات، قد خضعت لتغيّرات وتطوّرات على مستوى دلالات الألفاظ، تبعاً للأوضاع والاستعمالات على مرّ العصور والأزمان، لتأثّرها بعوامل وظروف مكانيّة وزمانيّة جديدة حادثة.

والمرجع في هذه الحالة، عند خفاء المعنى المتداول في بيئة النزول للفظ من الألفاظ، يكمن بالرجوع إلى المعجمات والقواميس اللغويّة المتخصّصة القريبة نسبيّاً من عصر نزول القرآن، أو المعجمات القرآنيّة المتخصّصة والمتتبّعة للاستعمالات القرآنيّة للألفاظ الواردة في القرآن الكريم. وكذلك يمكن الرجوع إلى تفاسير الصحابة، بوصفهم قريبين من عصر النزول، بخصوص إيرادهم تحديد مدلول لغويّ للفظ ما، بشرط أن يكونوا بصدد

نقل معنى متداول في عصر النزول، ولا يكون المعنى له ناشئاً عن اجتهاد شخصيّ في الفهم.

إن هناك عدة أسباب دعت لظهور كتب غريب القرآن، منها ما ذكرها ابن الأثير في كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر) وهي:

١ـ كان الله تعالى قد أعلم نبيَّه ما لم يكن يعلمُهُ غيره، وكان أصحابه يعرفون أكثر ما يقوله، وما جهلوه سألوه عنه صلى الله عليه وآله فيوضحهُ لهم ولم يتيسر ذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ـ كان اللسان العربي في عصر الصحابة صحيحاً، لا يداخله الخلل، إلى أن فُتحت الأمصار وخالط العربُ اجناساً مختلفة، فامتزجت الألسن، فتعلم الأولاد من اللسان العربي ما لابُدّ منه وتركوا ما عداه.

٣ـ استحال اللسان العربي أعجمياً في عصر التابعين، فصرف العلماء طرفاً من عنايتهم إليه فألفوا فيه حراسةً لهذا الدين.

هل في القرآن الكريم لفظٌ غريب؟

إن السؤال المهم هنا هو: هل في القرآن لفظة غريبة؟

قال جماعة: إنا إذا تلونا القرآن وتأملناه وجدنا معظم كلامه مبنياً ومؤلفاً من ألفاظ قريبة ودارجة في مخاطبات العرب ومستعملة في محاوراتهم، وحظ الغريب المشكل منه بالإضافة الى الكثير من واضحه قليل، وعدد الفقر والغرر من ألفاظه بالقياس الى مباذله ومراسيله عدد يسير، الأمر الذي لا يشبه شيئاً من كلام البلغاء الأقحاح من خطباء مصاقع وشعراء فحول، كان ملأ كلامهم الدرر والغرر والغريب الشارد.

لكن الغرابة على وجهين كما ذكرها أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي في

كتابه (معالم السنن) قال: الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم، كما أن الغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل.

إن الغريب من الكلام على وجهين:

أحدهما: أن يراد به أنه بعيد المعنى غامضة لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر.

وثانيها: أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب، فاذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربنا.

والغريب في القرآن الكريم إنما هو من النوع الثاني، ومن ثم لم يخل بفصاحته، والقرآن لم يستعمل إلا ما تعارف استعماله عند العرب وتداولوه فيما بينهم، ولكن في طبقة أعلى وأرفع من حد الابتذال العامي، فلا استعمل الوحشي الغريب ولا العامي السخيف المبتذل.

والغرابة ـ كما تقدم ـ كون الكلمة وحشية، غير ظاهرة المعنى، ولا مأنوسة الاستعمال، فمنه ما يحتاج في معرفته إلى أن ينقر ويبحث عنه في كتب اللغة المبسوطة.

والغريب القبيح يعاب استعماله مطلقاً، ويسمى الوحشي الغليظ، وهو أن يكون مع كونه غريب الاستعمال ثقيلاً على السمع كريهاً على الذوق، ويسمى المتوعر أيضاً، وذلك مثل جحيش واطلخم الأمر وجفخت وأمثال ذلك.

إن للألفاظ أهمية في حياة الإنسان لأنها تعبر عما في فؤاده، وتترجم المعاني والمشاعر التي بداخله، وهي إلى جانب ذلك وسيلة لمخاطبة الآخرين، وكلما أتقن الخطيب أو المتحدث ألفاظه واختارها بدقة كان تأثيره في المتلقين أبلغ.

ونظراً إلى ما للقرآن من أهمية عند المسلمين، راحوا يعتنون بألفاظه وآياته ويتدبرونها لأنها تحمل معانيه، وكانوا يسألون الرسول الكريم ﷺ إذا ما

أشكل عليهم لفظ أو غمض عليهم معنى.

وكان ينظر إلى عبد الله بن عباس على أنه الرائد في تفسير القرآن والبحث عن معانيه والكشف عن غريبه والاستشهاد عليه بالأشعار، مما جعل الناس تقبل عليه تسأله وتستمع إليه وهو يرد على أسئلتهم بسعة علم ورحابة صدر. وقد حاول نافع بن الأزرق، أن يسأل ابن عباس، فجمعت أولى المدونات حول الغريب وما شاكله كمسائل نافع بن الأزرق وما تلاها من مؤلفات.

وهكذا راح نافع بن الأزرق يسأل وابن عباس يجيب مفسراً ومستشهداً على ما يقوله بأشعار العرب، حتى بلغت المسائل أكثر من ثمانين مسألة، سميت فيما بعد (مسائل نافع بن الأزرق).

إن بداية تدوين غريب القرآن في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، واستمرّ ذلك إلى العصر الحاضر.

ولقد وضع العلماء مؤلفات في غريب القرآن في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ولكن معظم هذه الكتب فُقدت، إن التأليف في غريب القرآن كان في مراحله الأولى، يعتمد في تفسير كلماته على الشعر وخاصة الجاهلي منه، كما في مسائل نافع بن الأزرق، وقد فعل ذلك ابن قتيبة في (غريب القرآن) إذ إنه استشهد بالأشعار والأحاديث وأقوال العرب.

المؤلفات في غريب القرآن الكريم

إن من أوائل الكتب التي أُلفتْ في هذا الباب وهو مطبوع ومتداول بين أيدي الناس كتب كثيرة منها:

١ـ سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس: تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي.

٢ـ أبان بن تغلب بن رباح (ت١٤١هـ) له كتاب في غريب القرآن.

٣ـ مؤرج بن عمرو النحوي السدوسي (ت١٧٤هـ).

٤ـ أبو فيد مرثد بن الحارث بن ثور بن علقمة (ت١٩٥هـ).

٥ـ النضر بن شميل البصري (ت٢٠٣هـ).

٦ـ مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد فؤاد.

٧ـ أبو الحسن، سعيد بن مسعدة، الأخفش الأوسط (ت٢١٢هـ).

٨ـ أبو عبيد القاسم بن سلام الحريري الكوفي (ت٢٢٤هـ).

٩ـ تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر.

١٠ـ أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد اللغوي (ت ٣٢١هـ).

١١ـ غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، السجستاني (ت٣٣٠هـ).

١٢ـ أبو بكر أحمد بن كامل (ت٣٥٠هـ).

١٣ـ كتاب الغريبين غريبي القرآن والحديث: لأبي عبيد الهروي (ت٤٠١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناجي.

١٤ـ العمدة في غريب القرآن: المنسوب لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ).

١٥ـ المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ).

١٦ـ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكفرطالي (ت٥٠٣هـ).

١٧ـ أبو محمد عبد الرحمن بن عبد المنعم الخزرجي (ت٥٦٤هـ).

١٨ـ السمين الحلبي (ت ٥٩٦هـ)، له كتاب (مفردات القرآن).

١٩ـ أبو الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، سماه: (الأريب بما في القرآن من

الغريب).

٢٠ـ زين الدين الرازي، وقد ضم فيه شيئاً من الإعراب والمعاني، فرغ من تأليفه سنة (٦٦٨هـ).

٢١ـ بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب: علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني المعروف بابن التركماني (ت٧٥٠هـ)، تحقيق: خالد محمد خميس.

٢٢ـ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: لابي حيان الغرناطي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي.

٢٣ـ ألفية العراقي في ألفاظ غريب القرآن، لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦هـ).

٢٤ـ التبيان في تفسير غريب القرآن، لأحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي ابن الهائم (ت٨١٥هـ).

٢٥ـ غريب القرآن، للقاسم الحنفي (ت٨٧٩هـ).

٢٦ـ غريب القرآن، لابن شحنة أبي البركات عبد البر بن محمد الحلبي (ت٩٢١هـ).

٢٧ـ تفسير غريب القرآن العظيم، لمصطفى بن السيد حنفي الذهبي المصري (ت١٢٨٠هـ).

٢٨ـ كلم القرآن، لمحمود شكري الآلوسي (ت١٣٤٢هـ).

٢٩ـ معجم غريب القرآن، لمحمود فؤاد عبد الباقي (ت١٣٨٨هـ).

٣٠ـ الهادي إلى تفسير غريب القرآن، تأليف الدكتور شعبان محمد ومحمد سالم محيسن، طبعة مصر، (١٩٨٠م).

٣١ـ المعجم الجامع لغريب القرآن الكريم، تأليف عبد العزيز عز الدين السيروان.

٣٢ـ قاموس غريب القرآن، تأليف محمد الصادق عرجون.

٣٣ـ غريب القرآن، تأليف أبي الحسن إبراهيم بن عبد الرحيم العروضي.

٣٤ـ معجم ألفاظ القرآن، تأليف مجمع اللغة العربية بمصر.

إن هذه الكتب مطبوعة ومتداولة وهناك كتب أخرى ذكرها أصحاب التراجم والمعجمات ومن بينهم الشيخ عبد العزيز عز الدين في كتابه (المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم) حيث ذكر أكثر من خمسين مؤلفاً في غريب القرآن مع ذكر مؤلفيها ولكنه لم يذكر لهذه الكتب طبعةً أو تحقيقاً أو أماكن وجودها إن كانت مخطوطات[١٢٧].

مناهج الكتابة في كتب غريب القرآن

إن طرق الكتابة في غريب القرآن ومناهجها، كانت وفق طرق متعددة منها أربعة طرق مهمة هي:

١ـ كتب ومؤلفات تتعلق بغريب القرآن الكريم بحسب وروده في المصحف، وذلك بترتيب الألفاظ وفقاً لترتيب سور القرآن الكريم، ثم وفقاً لترتيب الآيات المضمنة في كل سورة.

وقد سلك هذا المنهج كل من: أبو عبيدة في (مجاز القرآن)، والفراء في (معاني القرآن)، وابن قتيبة في (غريب القرآن)، وابن الهائم في (التبيان في غريب القرآن).

٢ـ ترتيب الألفاظ المفسرة حسب الترتيب الألفبائي من غير تجريد، وهذا المنهج لم يعرف من سلكه غير السجستاني في (نزهة القلوب).

٣ـ ترتيب الألفاظ المفسرة حسب الترتيب الألفبائي بعد التجريد، وممن انتهج هذا المنهج هو الراغب الاصفهاني في كتابه (المفردات)، والهروي في كتابه (الغريبين)، والسمين الحلبي في كتابه (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ)، وهذا المنهج يعد من أسهل المناهج للوصول إلى معنى المفردة القرآنية.

٤ـ ترتيب الألفاظ حسب حرفها الأول ثم الأخير من غير اعتبار الحروف الزائدة. وممن اتبع هذا المنهج هو أبو حيان الأندلسي في كتابه (تحفة الأريب بما في القرآن من غريب)، جامعاً فيه بين ترتيب الراغب والجوهري.

نعم، إن كتب الغريب ألّفت نثراً، إلا أن بعض العلماء نظمها شعراً كما فعل زين الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحمن الكردي المعروف بالحافظ العراقي المتوفى سنة (٨٠٦هـ) وسمّى كتابه (ألفية غريب القرآن).

أما من حيث ترتيب الألفاظ، فإن كتب الغريب، كانت في جملتها تفتقر للدقة والمنهجية المنظمة على اختلاف طرائقه، ففي كتاب (تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب) لأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة (٧٤٥هـ)، اعتمد المؤلف على الحرف الأول فقط من المادة وجمعها اعتباطاً في كل حرف، فجاء المحققون ورتبوا المفردات ترتيباً جديداً، ورتب بعض المؤلفين مفرداته بحسب ترتيب السور القرآنية، كما في غريب القرآن لابن قتيبة المتوفى (٢٧٦هـ).

غريب القرآن الكريم وتحليل النص القرآني

إن للنص القرآني أدوات متعددة لفهمه وتحليله، ومن أبرز الأدوات هي معرفة (غريب القرآن)، وذلك عن طريق دراسة النص القرآني وتحليله من جانبه اللغوي من خلال بيان الألفاظ الغريبة فيه، والتي تحتاج إلى بيان وتوضيح.

لا بدّ للباحث المحلل للنص القرآني من اعتماد أصول عامّة منوّعة، تعينه على فهم النص الكريم فهمًا دقيقًا شاملاً، يتناول أُطُرَه المختلفة وصوره المتعددة، بما فيها من معانٍ وجمالٍ وأساليب، ويمكن إجمالاً ذكر بعضاً منها وهي:

١ـ وجوب فهم النص المراد تحليله فهمًا جيّدًا أوّلاً، في ضوء كتب التفسير ومعاني القرآن، وكتب مفردات القرآن، والوجوه والنظائر في القرآن، وكتب البلاغة، وكتب إعجاز القرآن، وما إليها.

٢ـ ملاحظة (علوم القرآن) المختلفة المتعلقة بالنص الكريم المراد تحليله، من أجل فهمه فهمًا سليمًا متكاملاً، وذلك بالرجوع إلى أسباب النزول، من حيث إنها تلقي ضوءًا على النص المراد تحليله، وتكشف عن ظروفه التي صحبته عند نزوله، من حيث الزمان والمكان والأحداث.

٣ـ دراسة النص المراد تحليله من جانبه اللغوي، بحيث يتناول المحلل ابتداء تفسير الألفاظ القرآنية الغريبة، وهي الألفاظ التي تحتاج إلى شرح وبيان، وهو ما يعرف الاصطلاح بغريب القرآن، مثل: الرحمن، ويوم الدين، والصراط، والصّمد، والقارعة، والواقعة، وثُلَّة، وما إليها.

٤ـ ملاحظة أثر النص القرآني الكريم في دقة استعمال غريب الألفاظ، وغير ذلك من استعمالات دقيقة في تعبير القرآن الكريم.

٥ـ الإشارة إلى اللهجات العربية، ذات الصلة بالنص القرآني المراد تحليله وربطه قدر الإمكان بالمعنى المراد، وبالبيئة العربية القديمة التي نطق بها، كالحجاز ونجد، وتهامة، واليمن، وما إليها. وذلك نحو تسهيل الهمز أو تحقيقه، والإمالة، والمدّ والقصر، ونحوها من لهجات[١٢٨].

٦ـ بيان ماهية دلالة اللفظ أو التركيب، إن كانت أصلية، أم إسلامية، أي:

أحدثها الإسلام بعد ظهوره، مثل: الزكاة، فإنّ في أصل اللغة: النماء والزيادة؛ إذ يقال: زكاة الزرعُ: إذا كثُر ونما. ثم استعملت في القرآن والحديث للدلالة على مال معيّن معلوم، يُدفَع إلى بيت مال المسلمين عند توفّر الشروط بالمال؛ إذ ينبغي أن يبلغ أصل المال مقدارًا مُعيَّنًا يسمى النصاب كي تؤخذ منه الزكاة. ومثلها الربا؛ إذ أصله الزيادة من ربا يربو: إذا زاد، ثم استعمل في الاصطلاح الإسلامي، للمال الذي يؤخذ زائدًا على القرض، وهو ما حرّمه الإسلام بنص القرآن والحديث بشِدّة. ومن هذه الألفاظ الإسلامية الكَلالة في الإرث، وغير ذلك.

٧ـ ملاحظة العلاقات الدلالية بين الألفاظ التي في النص القرآني المراد تحليله، مثل: الاشتراك، والتضادّ، والتقابل بنوعيه: تقابل الضد والنقيض، وتقابل الخلاف، وكذلك علاقة الترادف، سواء أكان ترادفًا تامًا، أم ترادفًا غير تام، وغير ذلك.

إن وسيلة غريب القرآن الكريم من أهم الوسائل تحليل النص القرآني، هذه الاداة مورد بحثنا وما يجب علينا توضيحه هنا.

قال الرافعي: (في القرآن الكريم ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنها مُنكرة أو نافرة أو شاذة، فإن القرآن منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حسنةً مستغربة في التأويل؛ بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس)[١٢٩].

إن المراد بتوضيح ألفاظ (غريب القرآن) عند المفسرين هو: شرح وتفسير تلك الألفاظ، لا استقراء ما في القرآن الكريم من ألفاظ غريبة.

ان من أهم أسباب الكتابة عن (الغريب) عموماً، و(غريب القرآن) بشكلٍ

خاص؛ هو كثرة اللحن، ووجود الألفاظ والكلمات المولَدة، بسبب دخول غير العرب في الإسلام، مضافاً إلى الابتعاد الزماني عن لغة القرآن الكريم، مما زاد في غرابة ألفاظه.

الهوامش

(١) الخوئي، أبو القاسم، مصباح الأصول، تقريرات: محمد سرور الواعظ الحسيني: ٢ : ١٣١.

(٢) ظ: المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، مصدر سابق: ٢: ١٤١-١٤٢.

(٣) الطوسي، أبو جعفر (ت٤٦٠هـ) التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ١: ٣.

(٤) الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، دون طبعة، دون تاريخ: ٥.

(٥) الحسن، طلال، مراتب فهم القرآن: ١٤٢.

(٦) الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن: ٢١٥-٢١٦.

(٧) العك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده: ٤٣.

(٨) الحسن، مصطفى، موجز في طبيعة النص القرآني: ٣٦.

(٩) الحسن، مصطفى، موجز في طبيعة النص القرآني، مصدر سابق: ٣٦.

(١٠) الحسن، مصطفى، موجز في طبيعة النص القرآني، مصدر سابق: ٣٧.

(١١) ظ: الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، مصدر سابق: ٢٧٤.

(١٢) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، مصدر سابق: ٦: ٢١٢.

(١٣) سورة الشعراء، الآية (١٩٥).

(١٤) الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، مصدر سابق: ٢٧٤.

(١٥) العك، خالد عبد الرحمن، أصول وقواعد التفسير، مصدر سابق: ٤٣.

(١٦) الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق: ٢: ١٥٥.

(١٧) المازندراني، علي اكبر السيفي، دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، مصدر سابق: ١٦٦.

(١٨) ظ: الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، مصدر سابق: ٢٧٤.

(١٩) ظ: الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، مصدر سابق: ٢٧٤-٢٧٥.

(٢٠) العتابي، ليث، الأدوات المعرفية: ٢٠٦.

(٢١) الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، مصدر سابق: ٢٧٥.

(٢٢) مكرم، عبد العال سالم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: ٣٤٦.

(٢٣) ظ: طحان، ريمون، فنون التقعيد وعلوم الألسنية، مصدر سابق: ٢٧-٢٨.

(٢٤) المسدي، عبد السلام، اللسانيات وأسسها المعرفية: ١٦١.

(٢٥) الخوئي، أبو القاسم، مصباح الأصول، تقريرات: محمد سرور الواعظ الحسيني: ٢ : ١٣١.

(٢٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مصدر سابق: ٨٩ : ١٠٦.

(٢٧) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١ :٤٠.

(٢٨) ظ: المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، مصدر سابق: ٢: ١٤١-١٤٢.

(٢٩) الطوسي، أبو جعفر (ت٤٦٠هـ) التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ١: ٣.

(٣٠) الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، مصدر سابق: ٢٨٧.

(٣١) ظ: باحوريث، تهاني بنت سالم، أثر دراسة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى: ١٤٢٨هـ: ٥٧-٧٠.

(٣٢) محمود، المثنى عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر، الأردن - عمان، ط١، ٢٠٠٨م :٥٤.

(٣٣) محمود، المثنى عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، مصدر سابق:٥٤.

(٣٤) محمود، المثنى عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، مصدر سابق:٥٤.

(٣٥) ظ: الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، مصدر سابق: ٢٧٤.

(٣٦) زاهد، عبد الأمير، قضايا لغوية قرآنية، العارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط٢، ٢٠١١م: ٢٥.

(٣٧) الجواري، أحمد عبد الستار، نحو القرآن: ٧.

(٣٨) الجواري، أحمد عبد الستار، نحو القرآن: ٧.

(٣٩) مغنية، محمد جواد (ت١٤٠٠هـ)، التفسير الكاشف، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٢٦هـ: ١ : المقدمة.

(٤٠) ينظر: العتابي، ليث، الأدوات المعرفية: ٢٠٦.

(٤١) الربيعي، حسن، البحث المعرفي، مصدر سابق: ٣٤ .

(٤٢) سورة الدخان، الآية ٤٩.

(٤٣) سورة الدخان، الآيات ٤٧-٤٩.

(٤٤) زيدان، عبد الكريم، الوجيز في أصول الفقه، مطبعة قرطبة، بغداد - العراق، دون طبعة، دون تاريخ: ٣٤٧.

(٤٥) الجرمي، إبراهيم، معجم علوم القرآن، مصدر سابق: ١٩٧.

(٤٦) الطبري، ابن جرير، تفسير الطبري، مصدر سابق: ١١ : ١٢.
(٤٧) الجرمي، إبراهيم، معجم علوم القرآن، مصدر سابق: ٢٣٨.
(٤٨) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق: ٤ : ٥٠٠.
(٤٩) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، مصدر سابق: ٣ : ٢٤.
(٥٠) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق: ١ : ٣٣٤.
(٥١) عبد الغالي، ناصر، أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية، دار الغالي، الرياض ـ السعودية، ط١، ١٩٩١م: ٧٨.
(٥٢) الزمخشري، جار الله، المفصل في علم اللغة: ٦.
(٥٣) العفيفي، محمد، القرآن تفسير الكون والحياة: ٢٤٦.
(٥٤) سورة مريم، الآية (٨٠).
(٥٥) سورة مريم، الآية (٩٥).
(٥٦) سورة الأنبياء، الآية (٨٩).
(٥٧) عبد الرحيم، عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، بيروت ـ لبنان، ط١ ، ١٤٠١هـ: ٤١.
(٥٨) بركة، عبد الغني، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، دار المنارة القاهرة ـ مصر، ط١٩٨٣،١م:٢٨٦.
(٥٩) ابن الأثير، ضياء الدين (ت٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار إحياء التراث، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ:١ :٢١٩.
(٦٠) ظ: ابن الأثير، المثل السائر، مصدر سابق: ١ : ٢١١ - ٢١٢ .
(٦١) ابن الأثير، المثل السائر، مصدر سابق: ١ : ٢٤٠ .
(٦٢) ظ: الحسن، طلال، مراتب فهم القرآن: ٣١٧ـ٣١٨.
(٦٣) السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ: ١ : ٣٥٥.
(٦٤) ()أحمد، يحيى، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢، العدد ٤، السنة ١٩٨٩م: ٧٥.
(٦٥) سورة النساء، الآية (١٠١).
(٦٦) هيئة المواصفات والمقاييس العربية السورية، معجم مفردات علم المصطلح، مجلة (اللسان العربي) ، الرباط، المغرب، عدد ٢٤، ١٩٨٥م: ٢٢٣.

(٦٧) ظ: العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، دار الولاء للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م: ١١٤.

(٦٨) ظ: القرشي، عبد الرحيم البشير، المصطلح الشرعي ومنهجية الدّراسة المصطلحية في العلوم الشرعية، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، العدد ١٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م: ١٢١.

(٦٩) ظ: الزارعي، عباس علي، القواعد الفقهية في فقه الإمامية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٠هـ: ١: ٣٢.

(٧٠) المسدي، عبد السلام، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٠م:٤٣.

(٧١) الجاحظ، ابو عثمان (ت٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة ـ مصر، ط٣، ١٩٤٨م: ١: ١٣٩.

(٧٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد (ت ٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٩هـ: ٢ـ٣.

(٧٣) ابن فارس، أحمد (ت٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ: ٧.

(٧٤) الجرجاني، الشريف (ت٨١٦هـ)، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٤ م: ٥٠.

(٧٥) التهانوي، محمد علي (ت١١٥٨هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م: ١: ٣.

(٧٦) ظ: الجرجاني، الشريف (ت ٨١٦هـ)، معجم التعريفات، مصدر سابق: ٣.

(٧٧) ابن خلدون، محمد (ت ٨٠٨ هـ)، المقدمة (مقدمة ابن خلدون)، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ط١، دون تاريخ:٥٣١.

(٧٨) ()هيئة المواصفات والمقاييس العربية السورية، معجم مفردات علم المصطلح، مجلة (اللسان العربي)، الرباط ـ المغرب، العدد ٢٤ ، ١٩٨٥م: ٢٢٣.

(٧٩) ظ: العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، دار الولاء للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م: ١١٦.

(٨٠) عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة: ٧٩.

(٨١) سعيد، جلال الدين، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: ٤٢٧.

(٨٢) كرزويل، أديث، عصر البنيوية: ٢٨٤.
(٨٣) السامرائي، إبراهيم، معجم ودراسة في العربية المعاصرة: ٤٨.
(٨٤) وغليسي، يوسف، اشكالية المصطلح: ١١.
(٨٥) الناقوري، إدريس، المصطلح النقدي في نقد الشعر: ٥٤٢.
(٨٦) المؤمني، قاسم، في قراءة النص: ١٢٣.
(٨٧) مرتاض، عبد الملك، في نظرية النقد: ٢٢١ـ ٢٢٢.
(٨٨) ظ: مرتاض، عبد الملك، في نظرية النقد: ٢٢٣.
(٨٩) مرتاض، عبد الملك، في نظرية النقد: ٢٢٣.
(٩٠) ظ: جاكبسون، رومان، قضايا الشعرية: ٣١.
(٩١) بارت، رولان، النقد والحقيقة: ٥٦.
(٩٢) ظ: مقران، يوسف، تبني تعليمية اللغات لنظرية التبليغ المحتكة بالمقاربة اللفظية والمقاربة المفهومية، مجلة حوليات، جامعة الجزائر، العدد ١٦، الجزء ٢، ٢٠٠٦م: ٢٤.
(٩٣) بريور، غاري، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات: ٧٠.
(٩٤) البازعي، سعيد، دليل الناقد الأدبي: ٢٥٨.
(٩٥) معهد الدراسات القومية والاشتراكية، فلسفة العلوم، (وقائع الندوة الأولى)، الجامعة المستنصرية، بغداد ـ العراق، ١٩٨٨م: ٤١ـ٤٢.
(٩٦) ظ: رابوبرت، أ . س، مبادئ الفلسفة، ترجمة: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠١٢م: ٣٩.
(٩٧) الربيعي، حسن كريم، البحث المعرفي، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٦ م: ٣٤ .
(٩٨) ظ: القاسمي، علي، علم المصطلح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨م: ٣٢٨.
(٩٩) هاني، إدريس، ما وراء المفاهيم من شواغل الفكر العربي المعاصر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ١٣.
(١٠٠) ظ: العلي، محمد، نمو المفاهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط١، ٢٠١٣م: ٩.
(١٠١) ظ: حللي، عبد الرحمن، المفاهيم والمصطلحات القرآنية: مقاربة منهجية، مجلة إسلامية المعرفة، السنة التاسعة، العدد ٣٥، شتاء ١٤٢٥ هـ: ٨٧ ـ ٨٨.

(١٠٢) ظ: عضيمة، صالح، مصطلحات قرآنية، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م: ٧.

(١٠٣) البوزي، محمد، الدراسة المصطلحية وموقعها من مناهج التجديد في تفسير القرآن الكريم (بحث)، موقع ملتقى أهل التفسير: http:rb.tafsir.net .

(١٠٤) ()البوشيخي، الشاهد، أولويات البحث العلمي في الدراسات الإسلامية، (ندوة) نظمتها جمعية خريجي الدراسات الإسلامية العليا بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، كلية الآداب، الرباط، المغرب،٢١/ ٩/ ٢٠٠٣م.

(١٠٥) ظ: زاهد، عبد الأمير كاظم، قضايا لغوية قرآنية، العارف للمطبوعات، ط٢، بيروت، ١٤٣٢ هـ / ٢٠٠١١م: ٢٢٠.

(١٠٦) المشكيني، علي، اصطلاحات الأصول: ١١٧.

(١٠٧) سورة يوسف، الآية (٧٦).

(١٠٨) ظ: القاموس المحيط، لسان العرب، المصباح المنير، مادة (غريب).

(١٠٩) ظ: مختار الصحاح، مادة (غرب).

(١١٠) ظ: الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (غرب).

(١١١) ظ: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ١ : ٤.

(١١٢) ظ: الخطابي، أحمد، مقدمة غريب الحديث: ١ : ٧٠ ـ ٧٧، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ١ : ٤، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ٢ : ١٢٠٣.

(١١٣) ظ: ابن قتيبة، غريب الحديث: ١ : ٦٦.

(١١٤) الزجاجي، الايضاح في علل النحو: ٩٢.

(١١٥) ظ: السيوطي، المزهر: ١ : ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(١١٦) ظ: بن أبي طالب، مكي، العمدة في غريب القرآن: ١٤.

(١١٧) ظ: بن أبي طالب، مكي، تفسير المشكل من غريب القرآن: ٥١.

(١١٨) ظ: شواخ، إسحاق، معجم مصنفات القرآن الكريم: ٣ : ٢٩٣.

(١١٩) ظ: الفراء، لغات القرآن: ١١.

(١٢٠) ظ: مكرم، عبد العال، غريب القرآن الكريم في عصر الرسول والصحابة والتابعين: ١٩.

(١٢١) ظ: الأندلسي، أبو حيان، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: ٤٠.

(١٢٢) ظ: الاصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٥٥.

(١٢٣) سورة يوسف، الآية (٢).
(١٢٤) القرطبي، تفسير القرطبي: ٢ : ٣٢٠.
(١٢٥) سورة الأعراف، الآية (٨٩).
(١٢٦) ظ: الزركشي، البرهان: ١ : ٢٩٣.
(١٢٧) ظ: ابن الزهراء، أسامة، المعجم الجامع: ١٢- ١٨.
(١٢٨) ظ: أنيس، إبراهيم، كتاب اللهجات العربية: ٢١٠.
(١٢٩) الرافعي، إعجاز القرآن: ٦٠.

المصادر والمراجع

* ابن الأثير، ضياء الدين (ت٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار إحياء التراث، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ.
* ابن خلدون، محمد (ت ٨٠٨ هـ)، المقدمة (مقدمة ابن خلدون)، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ط١، دون تاريخ.
* ابن فارس، أحمد (ت٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.
* أحمد، يحيى، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢، العدد ٤، السنة ١٩٨٩م.
* البازعي، سعيد، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١١م.
* البوزي، محمد، الدراسة المصطلحية وموقعها من مناهج التجديد في تفسير القرآن الكريم (بحث)، موقع ملتقى أهل التفسير: http:rb.tafsir.net .
* البوشيخي، الشاهد، أولويات البحث العلمي في الدراسات الإسلامية، (ندوة) نظمتها جمعية خريجي الدراسات الإسلامية العليا بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، كلية الآداب، الرباط، المغرب، ٢١/ ٩/ ٢٠٠٣م.
* التهانوي، محمد علي (ت١١٥٨هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
* الجاحظ، ابو عثمان (ت٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة ـ مصر، ط٣، ١٩٤٨م.
* الجرجاني، الشريف (ت٨١٦هـ)، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٤ م.
* الجرمي، إبراهيم، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق ـ سورية، ط١، ٢٠٠١م.
* الجواري، أحمد عبد الستار، نحو القرآن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ـ العراق، ط١، ١٩٧٤م.
* الخوارزمي، محمد بن أحمد (ت ٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٩هـ.
* الربيعي، حسن كريم، البحث المعرفي، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٦ م.
* الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، جامعة المصطفى العالمية، قم ـ إيران، ط٢، ١٤٣٦هـ.
* السامرائي، إبراهيم، معجم ودراسة في العربية المعاصرة، مكتبة لبنان ناشرون،

بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
* السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ.
* الطبري، ابن جرير (ت٣١٠هـ)، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، دون طبعة، دون تاريخ.
* العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م.
* العلي، محمد، نمو المفاهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط١، ٢٠١٣م.
* الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ)، العين، دار ومكتبة الهلال، القاهرة ـ مصر، ط١، دون تاريخ.
* الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
* القاسمي، علي، علم المصطلح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
* المسدي، عبد السلام، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
* المشكيني، علي، اصطلاحات الأصول، مؤسسة البلاغ المبين، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٥هـ.
* المؤمني، قاسم، في قراءة النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
* الناقوري، إدريس، المصطلح النقدي في نقد الشعر، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٩٨٤م.
* باحوريث، تهاني بنت سالم، أثر دراسة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى: ١٤٢٨هـ.
* بارت، رولان، النقد والحقيقة، منشورات الجمل، برلين، ألمانيا، ط١، ٢٠٢١م.
* بركة، عبد الغني، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، دار المنارة القاهرة ـ مصر، ط١٩٨٣،١م.
* بريور، غاري، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، مطبعة سيدي بالعباس، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧م.
* جاكبسون، رومان، قضايا الشعرية، دار توبقال، الدار البيضاء ـ المغرب، ط١، ١٩٨٨م.
* حلي، عبد الرحمن، المفاهيم والمصطلحات القرآنية: مقاربة منهجية، مجلة إسلامية المعرفة، السنة التاسعة، العدد ٣٥، شتاء ١٤٢٥هـ.
* رابوبرت، أ. س، مبادئ الفلسفة، ترجمة:

أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠١٢م.
* زاهد، عبد الأمير، قضايا لغوية قرآنية، العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠١١م.
* سعيد، جلال الدين، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس ـ تونس، ط١، ٢٠٠٤م.
* عبد الرحيم، عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠١هـ.
* عبد الغالي، ناصر، أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية، دار الغالي، الرياض ـ السعودية، ط١، ١٩٩١م.
* عضيمة، صالح، مصطلحات قرآنية، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
* عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان، ط٣، ٢٠٠٣م.
* كرزويل، أديث، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط١، ٢٠٠٠م.
* محمود، المثنى عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر، الأردن ـ عمان، ط١، ٢٠٠٨م.
* مرتاض، عبد الملك، في نظرية النقد، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط١، ٢٠١٠م.
* معهد الدراسات القومية والاشتراكية، فلسفة العلوم، (وقائع الندوة الأولى)، الجامعة المستنصرية، بغداد ـ العراق، ١٩٨٨م.
* مغنية، محمد جواد (ت١٤٠٠هـ)، التفسير الكاشف، دار الكتاب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ.
* مقران، يوسف، تبني تعليمية اللغات لنظرية التبليغ المحتكة بالمقاربة اللفظية والمقاربة المفهومية، مجلة حوليات، جامعة الجزائر، العدد ١٦، الجزء ٢، ٢٠٠٦م.
* هاني، إدريس، ما وراء المفاهيم من شواغل الفكر العربي المعاصر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
* هيئة المواصفات والمقاييس العربية السورية، معجم مفردات علم المصطلح، مجلة (اللسان العربي)، الرباط ـ المغرب، العدد ٢٤، ١٩٨٥م.
* وغليسي، يوسف، إشكالية المصطلح، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

المحتويات

المقدمة..... ٨

مدخل منهجي: ملاحظات عامة على كتب التفسير..... ٩

التفسير وحجية أقوال أهل الاختصاص ١٣

اللغة ودورها المعرفي..... ١٦

أهمية القواعد اللغوية ١٧

أساسيات لغوية مهمة ١٩

أساسيات قرآنية مهمة..... ٢٦

أساسيات تفسيرية..... ٣١

أساسيات في فهم معاني القرآن الكريم..... ٣٣

تقسيمات ألفاظ القرآن الكريم..... ٣٩

المفردة القرآنية..... ٤٠

مراتب فهم الكلمات القرآنية..... ٤٧

المفردة القرآنية ما بين المعنى الأولي والمعنى الثانوي ٤٨

أهمية المصطلحات..... ٥٠

جولة في تاريخ نشأة المصطلح..... ٥١

دور المصطلح المعرفي..... ٥٤

أهمية التحقيب المصطلحي..... ٥٥

إشكالية المصطلح..... ٥٨

دور اللغة الواصفة في حل إشكالية المصطلح..... ٦٠
المـفـهـوم..... ٦٨
المفاهيم وبناء المنظومة المعرفية ٦٩
ما بين المفهوم والمـصـطـلـح..... ٧٠
المفردة القرآنية ما بين المفهوم والمصطلح..... ٧٢
المفهوم والمصطلح القرآني: التعريف والغاية..... ٧٤
مصطلحات وألفاظ القرآن الكريم ودلالاتها: التطور الدلالي..... ٧٥
عوامل التطور الدلالي..... ٧٨
مظاهر ونتائج التطور الدلالي واللغوي..... ٧٩
أدوات فهم النص..... ٨٠
غريب القرآن الكريم: ماهيته، وحقيقته، والمراد به..... ٨١
الغريب لغةً واصطلاحاً..... ٨٣
غريب القرآن الـكـريـم..... ٨٦
هل في القرآن الكريم لفظٌ غريب ٩٠
المؤلفات في غريب القرآن الكريم..... ٩٢
مناهج الكتابة في كتب غريب القرآن..... ٩٥
غريب القرآن الكريم وتحليل النص القرآني ٩٦
الهـوامـش..... ١٠٠
المصادر والمراجع ١٠٧